موسوعة الدين القيم

١

الدين القيم و قضايا العصر

الشيخ

محمد الحافظ التجانى

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

موسوعة الدين القيم

(١)

الدين القيم وقضايا العصر

لخاتمة حفّاظ عصره العارف بالله تعالى

الشيخ محمد الحافظ التجانى

رضى الله عنه

(١٣١٥ / ١٣٩٨ هـ - ١٨٩٧ / ١٩٧٨ م)

جمعه ورتبه وراجعه

الشيخ أحمد محمد الحافظ التجانى

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الـكـتـاب : الدين القيم وقضايا العصر ①

المؤلـف : جمع وترتيب / أحمد محمد الحافظ التيجانى

رقـم الإيـداع : ١٩٧٦

تـاريـخ الـنشـر : ٢٠٠١

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977-215-544-3

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناشر ولا يسمح بإعـادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأى شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناشر

الـنـاشـر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

الـتـوزيـع : دار غريب ٣١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول

ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠)

المقـــدمة

الحمد لله حمدًا يليق بجلال وجهه ولعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد فى الله حق جهاده فهدى الله به أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما، فكان بالمؤمنين رحيما.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد،

فإن من منن الله عز وجل علينا أن الفطرة الإيمانية الكامنة فى نفس كل مؤمن تجعله تواقًا لاستجلاء هداية القرآن والاغتراف من فيض موعظته وتفصيله، ولطالما تشوقت النفوس إلى علوم ومعارف وآداب أهل المعرفة بالله، وهم علماء تزكية النفوس التى قال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (الشمس: ٧-١٠).

ويتبع تزكية النفس معالجة أمراض القلوب التى ذكرها رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح: «ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب».

وقال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء: ٧). وهؤلاء هم الذين طابق شهودهم الشرع الشريف الذى عرف من الكتاب والسنة، وهذه الطائفة هى التى عنيت بفقه القلوب من طهارة الباطن وتزكية النفس والتحلى

بمكارم الأخلاق وإلزامها بمنهج خاص يهدف إلى تحقيق أرقى درجات القرب من الله تعالى فى إطار مقررات الشريعة الإسلامية الغراء.

وقد التقت أفكار الأخ الجليل الأستاذ هانى غريب صاحب دار غريب للطباعة والنشر مع كوكبة من أبناء وتلاميذ الحافظ المحدِّث الشيخ محمد الحافظ التجانى أذكر منهم الأستاذ الدكتور محمد صلاح عبده، والشيخ محمد المصيلحى على حسن، والشيخ محمد عبد الرحمن، والشيخ عبد العزيز العايدى، وغيرهم كثير فى مصر وغيرها من الدول الإسلامية، والجميع كانوا تواقين لاقتناء تراث شيخننا الجليل.

لهذا فقد بذلت قصارى جهدى فى جمع شذرات وفيوضات وتوجيهات وإرشادات وإجابات شيخنا الحافظ رضي الله عنه على تساؤلات العلماء الأجلاء والفضلاء من إخواننا المسلمين والتى وردت بمجلة طريق الحق الغراء، حتى نبرز للملأ لمحة خاطفة فى تراث شخينا عسى أن يهتدى بها من شاء الله له الهداية من خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: ٥٦).

وقد قسمت هذه الموسوعة إلى ثمانية أقسام:

القسم الأول: فى الدين القيم. القسم الثانى: فى العقائد.

القسم الثالث: فى التفسير وعلوم القرآن. القسم الرابع: فى السنة النبوية المشرفة.

القسم الخامس: فى التوحيد ودلائل النبوة. القسم السادس: فى الفِرق.

القسم السابع: أحكام فقهية معاصرة. القسم الثامن: فى التصوف.

وليعلم القارىء العزيز أن هذه الموسوعة ليست كل ما جاء عن الشيخ رضي الله عنه بل هناك تسجيلات مع كبار العلماء العرب والأجانب في غاية الأهمية، فضلا عن كتاب آخر كتبه الشيخ محمد الحبيب وهو عن رحلاته مع مولانا الحافظ فى دول إفريقيا المتعددة وأسئلة العلماء بها وإجابات الشيخ رضي الله عنه، وكاد أن

يطبع إلا أنه اندثر فى أوراق مولانا الشيخ عبد المجيد الشريف، وهو تحت عنوان (تحفة الأذكياء فى زيارة الأولياء).

أسأل الله العلى القدير أن يوفقنا لإظهار هذا التراث القيم، ولعلنا نتمثل بالمثل القائل: (أول الغيث قطرة).

التعريف بالمؤلف:

هو صاحب الفضيلة العارف بالله علامة الدنيا الإمام الجليل، شيخ المحدِّثين فى عصره، وشيخ علماء تزكية النفس، الفقيه المفسر، خاتمة حفاظ العصر شيخنا الإمام محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم التجانى الحسينى لأبيه.

ولد رضي الله عنه في ربيع الثانى عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ، فى بلدة كفر قورص، مركز أشمون، محافظة المنوفية، بجمهورية مصر العربية.

اشتغاله بالعلم:

تعلق قلبه بالقرآن الكريم، والعلم، والعلماء منذ نعومة أظفاره حتى أنه كان يسافر إلى البلاد القريبة من مسقط رأسه وهو دون العاشرة للاستماع إلى دروس العلماء بأشمون وما جاورها وظهرت عليه آثار ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥). من حداثة سنِّه واصطفاه الله تعالى ورباه، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٤١)، وبدت عليه أنوار العلم ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الاسراء: ١٠٥)، فكان الحق سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، تولى الحق عز وجل شأنه وأحاطه برعايته الخاصة وأنساه نفسه وأشغله بذاته العلية فكان يقول:

يا روح ذوبى فى الحبيب صبابة

بالموت تحيا السادة الأخيار

يا روح غـاب الكون فى غـيب الخـفـا

وبدا الحـــبـــيب وزالت الأســـتـــار

شيوخـه:

★ فى القرآن الكريم: الشيخ عبد الله حمادة والشيخ سليمان البنا برواية حفص.

★ التفسير: الشيخ يوسف الدجوى.

★ الحديث: الشيخ محمد عبد الحى الكتانى وأجازه فى موطأ مالك، وصحيح البخارى، وكتب السنة والتفسير. ويروى الحديث عن السيدة الفاضلة أمة الله ابنة الشيخ عبد الغنى الدهلوى وكذا عن إمام دار الحديث بدمشق الشام شيخ المحدِّثين بالمشرق الشيخ بدر الدين الحسينى.

★ الفقه: الشيخ محمد صادق الرياحى التونسى حفيد شيخ الإسلام سيدى إبراهيم الرياحى.

★ اللغة: الشيخ يوسف الكومى، والشيخ محمد المهدى، والشيخ اسماعيل الأسلامبولى.

وهب رضي الله عنه حياته للعلم وجمع الكتب من كافة البلدان التى زارها بالمشرق والمغرب، وقد أخبرنى رضي الله عنه أنه كان يمسك الكتاب فيقرأه من الجلدة إلى الجلدة، ومكتبته عامرة بالكتب، مليئة بخطه الشريف تعليقًا أو إفادة، أو تصحيحا، أو إشارة، أو تذكرة، مما يدل على أنه قرأها كلها، ولذا فقد كان بزاويته منارًا للقاصدين والزائرين، يتردد إليه العلماء ويحف به الأوفياء يعترفون له بعظيم القدر عند الله، ويسألونه الدعاء وما ذلك على الله بعزيز.

صحب الشيخ محمد ماضى الرخاوى وكان علامة الأصول فى الأزهر فى وقته وكذا الشيخ السكندرى، ولازم الشيخ بدر سلامة العزامى القضاعى الشافعى إمام عصره فى سائر العلوم الدينية والفنون.

وقد اشتغل منذ حداثة سنِّه بالوعظ والإرشاد داعيًا إلى الله تعالى، يدرس الحديث والتفسير والتوحيد والفقه فى مجالس وعظه وأفاض الله عليه من العلم والفهم ما انعكس على طريقته فى دروسه التى كان يفهمها ويستوعبها العالم وكذا الذى لم ينل قسطًا من العلم على حد سواء.

وقد قرأ البخارى فى مجالس علمه أكثر من ٤٠ مرة قراءة ودراسة وكذا غيره من كتب السنة المشرفة.

بعض مؤلفاته التى طبعت:

١ - أهل الحق العارفون بالله.
٢ - رسول الإسلام ورسالته الجامعة.
٣ - مقدمة الجامع الكبير للإمام السيوطى.
٤ - رد أكاذيب المفترين.
٥ - مقدمة عمدة القارئ بشرح صحيح البخارى.
٦ - سنة الرسول ﷺ.
٧ - مقدمة كتاب الكفاية فى علم الرواية.
٨ - علماء تزكية النفس.

هذا بخلاف التحقيقات والتخريجات والترتيبات التى لم تطبع مثل:

١ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - بتخريج الأحاديث.
٢ - ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث، مرتب على حروف المعجم.
٣ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، مرتب على حروف المعجم حسب الرواه.

مقتطفات من آراء العلماء فيه:

كتب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود - رحمه الله - فى مقدمة كتاب سنة الرسول ﷺ: (والشيخ محمد الحافظ حينما يكتب فى الحديث إنما يكتب بصفته حافظا عالما بالحديث رواية ودراية من الطراز الأول وهو فى هذا المجال من الرجال المعدودين فى الشرق الإسلامى كله). أ هـ.

قال عنه فضيلة الشيخ عبد المجيد الشريف:

هو الإمام الجليل العارف الكامل والعالم الربانى العلامة شيخ علماء

الحديث وشيخ الصوفية - علماء التزكية - فى مشارق الأرض ومغاربها الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم التجانى الشريف الحسينى رضي الله عنه.

كان على عقيدة أهل السنة والجماعة المتفق عليها، وعمل على أساس هذه العقيدة وأفاض الله عليه من فضله فطهر ظاهره وباطنه، ورزقه الله منتهى الإخلاص فى القول والعمل، كان كل همه الاقتداء برسول الله ﷺ حبب إليه الاشتغال بالعلم منذ نعومة أظفاره كما حث تلاميذه على طلب العلم، وما من زاوية أنشأها فى قطر من الأقطار إلا وجعل فيها مكتبة ليطلع عليها تلاميذه.

كما كان شغوفًا بالسنة وحديث رسول الله ﷺ وتدريسه، فقرأ كتب الحديث ودرس علم الرواية وحال الرواة وحصل على إجازة الحديث من دار الحديث بدمشق ومن كبار علماء الحديث في المشرق والمغرب.

وكان من حرصه فى البحث عن كتب السنة، أنه إذا رأى فى أى مكتبة مخطوطا من المخطوطات النادرة فإنه يحرص علي اقتنائها إما بنقلها أو تصويرها مهما كلفه ذلك من جهد ومال.

ومن مآثره الخالدة تفسير القرآن الكريم والمنشور على صفحات مجلة طريق الحق والتى استمرت قرابة ثلاثين سنة، كما كان له برنامج «الدين القيم» تذيعه له الإذاعة، تكلم فيه عن عقيدة التوحيد وأركان الإسلام.

وكانت تصل بعض الأسئلة من البلاد الإسلامية المختلفة، فكان يجيب عليها وينشرها عبر صفحات المجلة.

وأما حلقات دروسه في زاويته أو فى زياراته المتتابعة للأقاليم المختلفة فكانت عامة يحضرها العلماء وغيرهم وكان من عادته أنه يبدؤها بالأسئلة وكان رضي الله عنه المدافع الأول عن الصوفية الحقة وعن رجال التصوف الإسلامى أعلام الإسلام.

وقال عنه الشيخ محمد السيد التجانى، من علماء محافظة الشرقية فى

كتابه غاية الأمانى فى مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدى أحمد التجانى رضي الله عنه المطبوع سنة ١٣٧٣ هـ :

هو علامة الزمان، الذى لا نظير له فى الأقران خزانة الأسرار العرفانية وترجمان الطريقة التجانية، غواص بحار المعارف. لاقتناء الطرائف وخائض لجج البحار الزاخرات. لصيد جواهر الدر الغاليات. شيخ الشيوخ فى علمى المعقول والمنقول. من له القدم الراسخ فى الفروع والأصول. سيدنا ومولانا وحبيبنا السيد محمد الحافظ التجانى المصرى رضي الله عنه، له اليد الطولى فى فنون شتى سيما الحديث النبوى الشريف فإنه أطال الله حياته لمنفعة الإسلام والمسلمين قد حفظ جل الأحاديث المصطفوية من رواتها الثقات الأثبات. ومن مصادرها المتنوعة الجهات. فهو بحق (الحافظ) للسنة الكريمة بهجتها ونورها، وللشريعة الغراء أقوالها وأحكامها.

وقال عنه الشيخ محمد عال بن فتى من علماء شنقيط:

فهو العالم العلامة، والدراكة الفهامة، فلا عار على من وصفه بالقطبانية ولا ملامة، حامل أنوار وأسرار الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة. ممن جمع بين الحسنيين والشرفين الدينى والطينى. محدث الصوفية وصوفى المحدِّثين وهو لسانهم القاطع حجج المنكرين بالبراهين. أديب الصوفية وصوفى الأدباء فى الإنشا لو أدركه لاستضاء به صبح الأعشى، وهو فقيه الصوفية وصوفى الفقهاء فأين لأترابه إلى مبدئه الانتهاء ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق، كلامه يقرع القلوب قبل الآذان وتنشق له الجلاميد والجدران.

وقال عنه الدكتور شكرى الخلوى الأستاذ بجامعة الجزائر سابقا:

هو نموذج صادق لتطبيق المنهج المحمدى الكامل فى أقواله وأفعاله مع الخاصة والعامة، بسلوك إسلامى جذاب، يقدم للمسلم صورة حقيقية حية لما كان عليه المؤمنون الذين كانوا مع النبى ﷺ فى الصدر الأول فى حياتهم الخاصة والعامة.

لم يكل عن الدعوة إلى الله تعالى والذود عن حياض أهل الحق بلسان حاله أو مقاله، فى ليله ونهاره، وحله وترحاله.

ورثاه الشيخ على مقبل سعيد من علماء اليمن بقصيدة مطلعها:

أرض الكنانة أننى لشـــــيق ... لو مـــيض برق سنائك اللمـــاع
عن عارف يدعى محمد حافظ ... سنن الحديث مفسر جماع
بحـــــر العلوم لكل فن تظنه ... من خير قرن الصحب والأتباع

وقال عنه الشيخ محمد متولى السداوى:

شـيـخنا الحـافظ حى لم يمت ... فى قلوب الأتقـيـاء العـابدين
لم يمت من كـــان نورًا هاديًا ... للصـراط المستـقـيم المستـبين
لم يمت من أثمـــرت أيامـــه ... هدى من كانوا عصاة مذنبين
لم يمت من جـمـعت من حوله ... كـوكـبـات المؤمنين الصـالحين
لم يمت من كان مصباح الدجى ... بين آلاف الشـبـاب الحـائرين
كـان فى علم الحـديث حـجـة ... واســـألوا عنه الرواة الواثقين
شـيـخنا الحـافظ يا أستـاذنا ... طـيـب الـلـه ثـراكـم كـل حـين

وقال عنه الشيخ محمد سيد جاد الحق إمام مسجد السيدة زينب سابقا:

يا حافظ الود يا من شأنه عجب ... مما يقـدم من عطف لذى النوب
العلم أعطاك صفـوا من مـوارده ... لتطبع الناس بالأخـــلاق والأدب
حفت به فتية طافت بروضته ... من كل عـال من الألقـاب والرتب
تراه كـابن معين فى حصافته ... أو كـابن حنبل بين السادة النجب
أو السـخـاوى بضوء ساد أمته ... بل أنه ابن عـديم فى ثرى حلب
علم الحديث رفعت اليوم رايته ... خفاقة فى سما الأجيال والحقب
كم أسهر العين فى تبيان معضله ... يلقن الناس من أخلاق خير نبى

سل المضاجع عمن بات يهجرها ... فى لذة العلم طوافًا على الكتب
سل البخارى وسل كل الصحاح تجب ... بأن حافظها قد مات فى رجب
ليعلم الشيخ أنا سادة صدق ... نرعى الوداد بلا خلف ولا كذب
نم هادىء النفس فى أرض الخلود فقد ... أرضيت ربك فيما جئت من قرب

وفاته:

توفى رضي الله عنه ليلة الإثنين ٢٩ جمادى الآخرة عام ١٣٩٨ هجرية الموافق ٥ يونيو ١٩٧٨م، رحمة الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

شكر واجب:

أتقدم بخالص الشكر لأخى الفاضل الشيخ محمد عبد الرحمن مبعوث وزارة الأوقاف للأرجنتين، وقد بذل جهودا شاقة فى انتقاء وتصوير موضوعات هذه الموسوعة منذ بداية صدور مجلة طريق الحق عام ١٩٥٠م، إلي ما بعد وفاة الشيخ رضي الله عنه عام ١٩٧٨م، ولا غرو فقد وهبه والده الحاج عبد الرحمن الدويرى للدعوة إلى الله منذ صغره، وأقرت والدته هذه الهبة فنشأ محاطًا بعناية الله ورعايته.

وأدين بالشكر والتقدير لفضيلة الشيخ عبد المجيد خليل الشريف، والشيخ محمد الحبيب دق وكلاهما رافق والدى فى مشوار حياته.

وأخص بالذكر والشكر معالى الدكتور حسن عباس زكى لتوجيهاته الصادقة وإمدادى بكتب التفسير والحديث التي يقوم بطباعتها على نفقته الخاصة.

ولا أنسى السادة الأفاضل السيد المستشار محمد عابدين هاشم، والدكتور محمد صلاح درويش، والدكتور محمد عصام فهيم، والدكتور عصام البقلى حفظهم الله لمعاوناتهم الصادقة فى أداء رسالتى.

ولا يفوتنى أن أنوه بما بذله إخوتى وأخواتى وأصهارى فى مؤازرة كريمة وتأييد مطلق لما أقوم به من أعمال والدى رحمه الله، وأخص بالذكر منهم المهندس محمد العلمى محمد الحافظ، والشيخ عبد الحفيظ أحمد عثمان، والشيخ إبراهيم صالح.

كما أشكر كل من آزرنى فى هذا العمل الجليل من سائر إخواننا الذين من كثرتهم لا أستطيع أن أحصى اسماءهم، أسال الله أن يتولى عنى جزاءهم.

وأخيرًا ... وليس آخرًا، فإننى لا أملك إلا أن أسجل كلمة شكر وعرفان بالفضل والجميل لمن أبت عليه نخوته الدينية وإيمانه العميق بالله تعالى ورسوله ﷺ، إلا أن يظهر أعمال شيخنا الحافظ رضي الله عنه، فى صورة لائقة بجلال الشيخ وعلمه الغزير ذلك الرجل الشهم المبارك، هو الأستاذ هانى غريب جزاه الله خير الجزاء وآدام عليه وسائر العاملين بالدار نعمه ظاهرة وباطنة.

وإنى استخرت الله عز وجل ضارعا إليه أن يوفقنا جميعا لتحقيق هذا الأمل الكبير وأن ينفع به الإسلام والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وأن يجعله فى ميزان حسنات جامعه وقارئه ومستمعه والناظر فيه وكل من ساهم فيه، لتعم الفائدة كل إنسان باحث عن الحقيقة والحكمة التى هى ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها.

ختاما، هذا جهد المقل فإن أحسنت فذلك بتوفيق الله عز وجل، وإن قصرت فمن نفسى وهو أقصى ما تيسر لى، فالكمال المطلق لله وحده.

والحمد لله أولا وآخرًا وعلى الله قصد السبيل.

أحمد محمد الحافظ التجانى

القسم الأول : الدين القيم

برنامج أذيع على حلقات فى البرامج الموجهة لغرب أفريقيا
أسئلة أجاب عليها صاحب الفضيلة العارف بالله
السيد / محمد الحافظ التجانى رضى الله عنه

الفطـرة

(س) قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم : ٣٠).

فما الفطرة، وكيف كان الإسلام دين الفطرة؟

(ج) الفطرة هى الصفة الأصيلة التى جبل الله الخلق عليها، والتى لاخلاف فيها بين العالم والأمى، كمعرفة أن الفعل لابد له من فاعل، وأن بعض الشىء لا يساوى كله. وأن الواحد نصف الاثنين.

وهى تطابق ما يدعو إليه الإسلام. فلا يشك أحد من العقلاء أنه لم يكن موجودًا على حالته التى هو عليها الآن، ثم صار إلى هذه الحالة. فالعاقل على يقين لا يتسرب إليه الريب، بأنه قد منح النعم التى أعطيها من منعم أسبغ عليه هذه النعم وأعطاه إياها ابتداء من غير أن يكون له دخل فيها، فإن الصنعة لم تصنع نفسها. والصنعة غير الصانع، كالباب لم يجعل نفسه بابا ولا البيت يجعل نفسه بيتا، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الطور : ٣٥)، فالإسلام عندما شرع للناس لم يخالف هذه الفطرة بل جاء على وفاقها. وهذه حقائق بديهيات الفطرة التى لاخلاف فيها بين العالم والجاهل ومن تربى فى الحواضر أو فى الصحارى وشواهق الجبال مالم يكن بعقله خلل، وإذًا فالذى أعطانا الحياة هو المالك الحقيقى للحياة، والذى أعطانا السمع هو المالك الحقيقى للسمع، والذى أعطانا البصر هو المالك الحقيقى للبصر، والذى أعطانا العلم هو المالك الحقيقى للعلم.

وقد تاه قوم وضلوا فنسبوا النعم التى أسبغها المنعم سبحانه على الخلائق إلى صنم لايحس ولا يعقل ولا يشعر بشىء حتى بوجود نفسه، فنسبوا العلم إلى الجهل، والحكمة إلى العدم، وسواء فى هذا من عبد شمسا أو قمرًا أو شجرًا أو المادة فإنها صنم كالأصنام. أو سمى العدم أو الصنم طبيعة أو دهرًا أو مادة مما لاعقل له ولا علم ولا حكمة ولا شعور.

وكذلك من عبد حيوانا أو إنسانا أو ملكا أو مخلوقا وترك المنعم الحقيقى المانح الوهاب المعطى الخالق السميع البصير. ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ (فصلت :٣٧).

(س) فهل كانت هناك ضرورة تحتم ظهور دين الإسلام الذى هو دين الفطرة؟

(ج) إن الكمال الإنسانى الصحيح فى أن ينظم الإنسان العلاقة بينه وبين خالقه، السبب فى وجوده، المنعم عليه، وأن ينظم سعادة نفسه كفرد، وأن ينظم علاقة أسرته، وأن ينظم علاقته بالبيئة التى يعيش فيها وأن ينظم علاقته بالإنسانية عامة، وقد جاءت الشرائع الإلهية بذلك وهذا هو مطمح أنظار المصلحين والحكماء فى كل عصر.

وكما أن الخالق سبحانه وتعالى هيأ للإنسان برحمته الأسباب التى تحفظ عليه حياته من طعام وشراب، وهيأ له الأسنان التى يمضغ بها وهى المطاحن التى تعد طعامه، وجعل الريق ليعجن هذا المطحون، والغدد التى تفرز الريق، وهى معامل ترشح الدم حتى يصير ماء واللسان واللهاة ومجارى الطعام، وأعد المعدة التى تهضم ذلك الطعام والمصانع العجيبة، والقلب المشرف على هذه المصانع؛ كل ذلك لحفظ حياته.

كما أعد له أسباب الدفاع عن نفسه وأعد له السمع والبصر واللمس والذوق والأعضاء والجوارح، كل ذلك لمنفعته. وأعطاه العقل الذى يتصرف به فى منافعه الخاصة والمنافع العامة.

فمن تمام الرحمة وشمولها أن يقوِّم ربُّ الإنسانيةِ؛ فالإنسانية إذا انحرفت عن الطريق القويم الذى ركزه فى فطرتها فيرسل إليها من يقوِّم هذا الاعوجاج الخُلقى.

وقد كان العالم قبل مجىء النبى ﷺ قد اعوج فى تفكيره فاتخذ الأصنام آلهة ينسب إليها النفع والضر، وعبد الشجر والشمس والقمر والحيوان والإنسان وكلها مخلوقه لله مربوبة له.

وحيث إن الله خالق كل شىء. فلا تصح العبادة إلا له ولا إله غيره؛ لأنه سبحانه وتعالى مصدر النعم على كل مخلوقاته، وما أجرى على يديه من عجائب فهو معطيها ووليها. ولا يوجد أحد من الأنبياء والأولياء ينسب فضلا لنفسه، وإنما ينسبه لله عز وجل ويعترف بأنه عبده ويقوم بالشكر له.

فكان العالم فى مشارق الأرض ومغاربها على غير هدى، وعم الانحراف أقطار الأرض إلا أفرادًا قلائل يعدون بالأصابع، مع طغيان القوة ونبذ الشرائع التى جاء بها الأنبياء، والتى لا سعادة للإنسانية السعادة الحقة إلا بها. ولا يمكن أن يبلغ المجتمع سعادته فى الفرد والأسرة والمجتمع؛ إلا إذا سار عليها.

(س) ولكن من المعروف أن الإسلام لم يكن أول دين سماوى، بل كانت هناك اليهودية والمسيحية.

فهل بقى العالم متقيدًا بالشرائع التى جاءت بها اليهودية والمسيحية؟

(ج) أما من حيث الأفراد فكان لكل قوم عادات حسب بيئتهم، وكانت القوة هى أساس المعاملة، وأهملوا الشرائع، وكان اليهود متفرقين فى أنحاء العالم منطوين على أنفسهم لم يمتزجوا بشعب من الشعوب ولكنهم عدوا فى الشعوب التى هم فيها: يهود المغرب عدوا من المغرب، ويهود اليمن عدوا من اليمن، وإنما عاشوا على امتصاص دماء الشعوب التى آوتهم وحمتهم

من الموت والإبادة، وكانوا يتحايلون على عدم التقيد بشريعتهم بطرق شتى. حتى أن المسيح عليه السلام فى عصره كان يسمى أحبار اليهود -أى: علماءهم- بالقبور المزوقة، وكان يعلن أنهم غيروا وبدلوا واحتالوا على الخروج من الشريعة. وباقى الأمم التى ليس لها شريعة كانت تمضى بحسب العادات والظروف قوة وضعفا، فلا عدل ولا إنصاف. وانقسمت المسيحية واضطهد بعضهم بعضا، وأخل الإنسان بالعلاقة بينه وبين خالقه، وبين بنى الإنسان وبعضهم وكان ذلك أدعى لمجىء النور الأعظم نور الإسلام الذى لا يختص بأمة ولا قبيلة بل يعم سائر الأجناس والأصقاع. وكان ظهوره بجزيرة العرب ببعثة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

(س) ما هو السبب الذى جعل جزيرة العرب مهبطا لخاتمة الرسالات ؟

(ج) كان العرب أقرب الأمم إلى التوحيد حيث كانوا يعتقدون بوجود الله، وإنما كانوا يعبدون شفعاء ووسائط تقربهم إلى الله الواحد الخالق ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (سورة الزمر: ٣٨). وقال تعالى على لسانهم ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (سورة الزمر: ٣).

ولما كانت العبادات ثمرتها الأخلاق، وأسس الأخلاق: الكرم والعفة والعدل والشجاعة - فالكرم: لتأييد دعوة الحق، والعفة: حتى لا يطمع الإنسان فى غير حقه ولا يعتدى على أحد فى مال أو عرض أو نفس، والعدل: لتنظيم العلاقة بين الناس فى الأسرة والمجتمع والإنسانية، والشجاعة: لحماية الدعوة دعوة الحق.

وهذه الصفات التى تحتاجها الأمة وتتفرع عنها باقى مكارم الأخلاق قد كانت جبلية فى العرب مجتمعة فيها بأعلى مرتبة.

وكذلك اللغة، فقد كانت اللغة العربية التى تناسب السمو القدسى الذى يليق بحمل الرسالة الإلهية فى أدق معانيها وتوفر شمولها

وخصائصها .وقد هيأ الله العرب فتخصصوا وتنافسوا فى ميدان البلاغة حتى وصلوا إلى أعلى مرتبة، وقد شهد بذلك كبار العلماء ممن درس اللغات وتخصص فيها.

فلا عجب أن تكون الأمة العربية جعل الله فيها الاستعداد صورة ومعنى لحمل الرسالة العامة الخالدة وتبليغها إلى جميع الآفاق فى العالمين.

(س) ولماذا اختص الله العرب وهيأهم بهذه الصفات لحمل الرسالة ؟

(ج) كان العرب يعيشون فى الجزيرة قبائل مستقلة وينشأ أفرادها لحماية القبيلة والدفاع عنها. وطبيعة البادية توجب على كل فرد أن يحمى نفسه. وليس هناك جنود تحرسهم، فهم جنود بطبيعتهم ونشأتهم وبيئتهم. فالشجاعة جبلية فيهم. وليس لهم ملك يستبد بهم فإذا اختلفوا اختار المتخاصمان من يكون نزيها وذا رأى واحتكما إليه وكان الحكم الذى يختارونه يجتهد فى إقامة العدل والبرهنة على صحة حكمه كما هو معروف فى البادية؛ فكان العدل أساس حسم.

وكان لهم أسواق يجتمعون فيها للتفاخر بمكارمهم ومآثرهم يتبارى فيها شعراؤهم فى الفصاحة والبلاغة وأصبحت لغتهم لغة ممتازة غزيرة المعانى، غنية بالمحسنات اللفظية والمعنوية.

وما جاء فى عفافهم وكرمهم، فالتاريخ بدت منه مالا نظير له فى الأمم.

وكانوا لا يختارون زعيما يسودونه إلا لمكرمة من المكارم كما قال شاعرهم:

إذا مات منا سيد قام سيد قئول لما قال الكرام فعول

وهذه الصفات التى لم تجتمع فى أمة من الأمم أهلهم الله بها لحمل أعباء الرسالة وتبليغها فقاموا بحمل رسالة الإسلام لله لا لدنيا مؤثرة ولا لهوى متبع، وباركهم الله وأعانهم حتى عمت الرسالة الخافقين: المشرق والمغرب.

(س) هل جاء الإسلام ليعيد العمل بهذه الشرائع الماضية أم ليكملها أم ليغيرها تغييرًا كاملاً ؟

(ج) كانت الشرائع السابقة على الإسلام شرائع إقليمية تنزل لإصلاح مجتمع خاص أو قبيلة فالقوانين التى تنتظم بها مصالح البادية لقبيلة لاتكفى لقوانين قرية، والتى تنتظم بها القرية غير القوانين التى تنتظم بها مدينة، غير القوانين التى ينتظم بها قطر من الأقطار، يشمل البادية والقرية والمدينة والمجتمع الذى يشمل ذلك القطر، وأعظم من هذا ما يشمل جميع العالم.

فشريعة سيدنا موسى عليه السلام كانت لبنى إسرائيل خاصة وكذلك سيدنا داود، وكانت رسالة سيدنا عيسى عليه السلام خاصة أيضا لبنى إسرائيل قال: «ما جئت لأنقض الناموس ولكن جئت لأكمل الناموس» والمراد بالناموس: الوحى الذى جاء به موسى عليه السلام، والواضح من الأناجيل أنها ليس فيها التشريع المنظم للمجتمع.

وجميع أنبياء بنى إسرائيل كانت رسالتهم خاصة ببنى إسرائيل.

كما بعث الله رسلا فى أماكن متفرقة من الجزيرة العربية، كلّ أُرسل بما يناسب البيئة التى هو فيها. وقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (غافر: ٧٨)، ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ (النساء: ١٦٤)، وقد جاء الإسلام بنسخ هذه الشرائع الماضية.

(س) يفهم من هذا أن الشرائع الماضية كانت إقليمية فهل يمكن إعطاء مثل لإقليميتها؟

(ج) كانت الشرائع تتدرج بحسب أحوال الذين نزلت إليهم، ففى الإنجيل مثلا: (إنى لم أرسل إلا لخراف بنى إسرائيل الضالة) .

وثمة مثل آخر: أولاد آدم عليه السلام كل لابد لهم من أن يتزوج الأخ أخته، فلما كثر الناس وكان زواج الأخوين يؤدى إلى ضعف النسل؛ نزلت الشريعة بعد ذلك بتحريمه.

وكانت شريعة التوراة قد عنيت بتنظيم الدنيا ولم تطبع بالطابع الروحى، ثم جاء سيدنا عيسى عليه السلام فى بيئة كانت الدنيا هى الشغل الشاغل لهم، وكان الطابع الذى طبعت به رسالته الطابع الروحانى طابع التجريد، أى: التخلى عن الدنيا، وعاش عليه السلام عيشة الزهد وكذلك تلاميذه.

ثم جاء سيدنا محمد ﷺ بالرسالة الشاملة الجامعة الكاملة العامة حيث نظم الحياة بأجمعها: حياة الفرد، وحياة الأسرة، وحياة المجتمع الإنسانى كله. فليست شريعة الإسلام خاصة بإقليم أو قبيلة أو جنس فالله تبارك وتعالى رب العالمين لا رب بنى إسرائيل وحدهم، ولارب المغرب وحدهم، ولا المشرق وحدهم، لا لون ولا جنس، الكل بالنسبة لله عز وجل سواء فليس لأحد أن يقول: نحن أبناء الله وأحباؤه وإنما الكل عباد الله، وبالعمل الصالح ينال القربى من الله تبارك وتعالى. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء :١٠٧). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣). وقال ﷺ: «كان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس عامة».

وتكفل الإسلام بتنظيم حاجات البشرية الحسية والمعنوية جسما وروحا فى دينها ودنياها، وحرم الرهبانية. وقد استأذن من النبى ﷺ بعض أصحابه فى الرهبانية فمنعهم، ولما اعتزل أبو الدرداء النساء وصار يصوم النهار ويقوم الليل، منعه سلمان الفارسى من ذلك، وقال له: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا؛ فأعط كل ذى حق حقه. فأتى النبىَّ ﷺ، وذكر ذلك له. فقال ﷺ «صدق سلمان» رواه البخارى ج ٣ ص ٣٤.

(س) ذكرتم فضيلتكم: أن الشرائع السابقة على الإسلام، كانت إقليمية مقصورة على زمن معين ومكان معين، وأن التشريع كان يتدرج حسب أحوال الذين ينزل إليهم، ثم جاء الإسلام وهو الشريعة الكاملة الجامعة الشاملة، وأنه تكفل بتنظيم حياة البشرية وأنه جعل الناس كلهم عبادًا لله وحده وحرم الرهبانية. فكيف نظم الإسلام حياة الناس بحيث يمكن أن نقول عنه أنه أعم وأشمل وأدوم؟

(ج) دعا الإسلام إلى العلم وبين أنه أساس العمل. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، وقال أيضًا ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٩)، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة:١١)، والعمل بغير علم لا يصح، والعلم يشمل جميع المعارف.

وليس فى الإسلام كهنوت، والكهنوت هو الواسطة التى فرضتها الديانات الأخرى غير الإسلام على معتنقيها من غير دليل.

فالإسلام يزيل الوسائط بين العبد وبين ربه. فالمسلم يسأل ربه مباشرة فى أى وقت وفى أى مكان، وليس لأحد أن يفرض رأيه على الآخرين بغير دليل. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة:١٨٦)، ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ١٣٥)، فالله سبحانه وتعالى هو وحده الغفور الرحيم. وإذا طلب بعض المسلمين من بعض أن يدعو له، فهو حسن ظن بإخوانه، وتواضع، وتعاون على الخير، كما يصلون جماعة ويؤمهم إمام واحد، وهم وإمامهم يرجون رحمة الله. والإمام يعتقد فى نفسه أنه يصح أن يكون أحد المأمومين أعظم صلة منه بربه.

وشمل الإسلام جميع فروع الحياة ونظم العلاقة بين العبد وربه، وبينه وبين أسرته، وبينه وبين المجتمع.

(س) نرجو أن توضحوا لنا كيف نظم الإسلام العلاقة بين العبد وربه؟

(ج) إن العلاقة بين العبد وربه نظمت بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وأركان ذلك: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

وقد فرض عليه الاتصال به فى خمس أوقات فى كل يوم وليلة؛ حتى يكون دائم الصلة بربه تبارك وتعالى.

فبالصوم حيث يترك طعامه وشرابه وشهوته، طاعة لله عز وجل فى السر والعلانية. وفى استطاعته أن يستمتع بكل ملذاته فى الخفاء ولا يراه أحد من الناس، ولكنه يترك ذلك كله فى خلوته حياء من الله؛ فهو حارس على نفسه، موقن برقابة مولاه عليه. وبهذا قد تربى ضميره على تعظيم الله عز وجل وعلى استنكار مخالفته له. فيحب الخير وأهله ويحرص عليه؛ لأن الله يحبه، ويكره الشر وأهله ويبتعد عنه؛ لأن الله يبغضه. والإنسان إذا ترك الحلال لله سرا وعلانية؛ كان أقدر على ترك الحرام سرا وعلانية؛ وبهذا يتجرد من الأخلاق الذميمة، ويتحلى بالأخلاق الكريمة، ويسعى فى تهذيب نفسه وتثقيفها وتكميلها.

ولا يخلو الإنسان أن يكون رئيسا أو مرءوسا. وفى الحديث: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد. ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدق فأخفى فلا تدرى شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع».

والصلاة فى الجماعة وهى مؤتمر لأهل الحى يتعهد بعضهم بعضا فى خمس أوقات كل يوم.

وقد شدد رسول الله ﷺ فى حضور الجماعة؛ فيسأل بعضهم بعضا عن المرضى ليعودوهم، ومن ينقصه شىء يتعاون أهل الحى معه، كما كان يفعل أصحاب رسول الله ﷺ. وفى كل جمعة، حيث يحضرون المؤتمر الأسبوعى فى صلاة الجمعة. وفى صلاة العيدين يحضرون المؤتمر السنوى.

وفى الحج فى كل سنة يحضرون المؤتمر الإسلامى العام الجامع لجميع فروع الحياة فى جميع الأقطار الإسلامية فى مصالحهم الدينية والدنيوية.

وبهذا يتربى الضمير الإسلامى الذى يقيم من الإنسان حارسا على نفسه يرعى حقوق الله، وحقوق الخلق لله، حياء من الله، لا خوفا من معاقبة القوانين.

(س) نرجو أن توضحوا لنا كيف يكون الإيمان بالله تعالى، وما هى الصفات التى يجب أن نعتقدها فيه سبحانه حتى نكون مؤمنين صادقين ؟

(ج) إذا كان هناك جسم ساكن ثم تحرك فإننا نعرف أن هذه الحركة وجودها مسبوق بالعدم. وأن الإنسان قبل أن تحمل به أمه لم يكن موجودا، وأن النبات قبل أن تبرد قشرة الأرض الظاهرة، لم يكن موجودا وكذلك الحيوان.

وكل ما هو مسبوق بالعدم يسمى: حادثا وبالبداهة لابد له من محدث.

والسبب الأول المؤثر فى وجودنا، لو كان مسبوقا بعدم، لكان له مؤثر أعطاه الوجود، وعلى ذلك فالسبب الأول لا يصح بحال أن يكون وجوده مسبوقا بعدم. والذى لم يُسبق وجوده بعدم يقال له: قديم أو أزلى، لا أول لوجوده، وهو خالق غير مخلوق، ومن لم يثبت الأزلية للخالق سبحانه فسيثبتها خطأ لمخلوق من مخلوقات الله ولا حجة له.

ومحدث الأمور الدقيقة التى نُظمت لمقاصد وحِكم، لا تتأتى إلا بمنظم حكيم لا يمكن أن يكون جاهلا، فلابد أن يكون عليما ولابد أن يكون حكيما.

وبهذا يتضح أن الله سبحانه وتعالى صانع الأكوان - بما فيها الإنسان- عليم حكيم قديم أزلى لم يسبق وجوده بعدم، وأنه سبحانه متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

العلاقة بين المرء وأسرته

(س) كيف نظم الإسلام العلاقة بين المرء وأسرته ؟

(ج) قال ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»، وقد قرر الإسلام التكافل فى الأسرة. فلو أن أحدًا قتل أحدًا خطأ فالدية على عصبة القاتل جميعها. وهذا يقرر مسئولية الأسرة عن سلوك أفرادها. ولم يكن هذا فى شريعة من الشرائع السابقة على الإسلام. ودعا إلى حسن العشرة بين الزوجين. قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧) . ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق: ٢).

وبر الوالدين، قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء : ٢٣، ٢٤).

وأمر بالعدل بين الأولاد. قال ﷺ «اعدلوا بين أولادكم فى النِّحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى العطف والبر» والنَّحل هو العطاء. وعنه ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا؛ جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه» وفى رواية «من عال جاريتين؛ دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه: السبابة والتى تليها»، جاريتين، أى: ابنتين.

كما أمر بالإحسان إليهم. فعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة، وما أنفق الرجل على أهله كتب له صدقة، وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة».

وأمر بصلة الرحم، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٢٢). والذى لا يشفق على ذوى رحمه هو أحرى أن لا يشفق على غيرهم ممن لا تربطه بهم صلة قرابة.

وأوصى بالتابعين والخدم: قال ﷺ: «إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه».

العلاقة بين المرء والمجتمع

(س) كيف نظم الإسلام العلاقة بين المرء والمجتمع ؟

(ج) أما علاقته بالمجتمع. فقد قال ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى». وقال ﷺ: «لا يكن أحدكم إمَّعة، يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن لا تظلموا» وفى رواية: «أن تجتنبوا مساءتهم».

كما جعل أساس العلاقة فى المجتمع رعاية المصلحة العامة للأمة الإسلامية والتعاون على سعادتها أفرادًا وجماعات. كأنما هم أفراد أسرة واحدة. فيعمل الفرد لمصلحة المجموع ويعمل المجموع لما فيه سعادة الأفراد، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة: ٢).

كما قرر: أن أساس العلاقة أيضا العدل والإحسان. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠). بل ذهب الإسلام لأبعد من ذلك حيث حض على الإيثار فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

كما قرر التناصح بين الأمة، وضرب لذلك مثلا، ﷺ: «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» رواه البخارى والترمذى.

كلمات تحو سبحانه

(س) ذكرتم فضيلتكم: أن الإسلام نظم العلاقة بين العبد وربه بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وذلك بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

ثم أوضحتم فضيلتكم: أن الإيمان بالله يقتضى أن نعتقد فيه سبحانه أنه صانع الأكوان بما فيها الإنسان، وأنه عليم حكيم قديم أزلى لم يسبق وجوده بعدم، وأنه سبحانه منزه عن كل نقص.

فما الذى يجب معرفته من كمالات الله عز وجل بعد ذلك حتى يصل الإنسان إلى كمال المعرفة به ؟

(ج) كمالات الله لا تحصى، فلنبين البعض الذى ترجع إليه سائر الكمالات.

فمن المتفق عليه بين العقلاء أن الحادث المسبوق بالعدم مفتقر لمن

يوجده. أى محتاج إلى من يخلقه ولا يمكن وجود ذلك المفتقر إلا بعد وجود المغنى الذى يسد افتقاره.

فمثلا لا يوجد الجرم قبل الحيز، أى: المكان الذى يوجد فيه ولا يوجد الحيوان بغير ماء ولا هواء وهو مفتقر إليهما.

وسلسلة الحوادث، مفتقرة بطبعها فى وجودها، لسبق العدم لكل منها، فلابد من استنادها لغنى يمدها بالوجود، ولا يصح أن يكون مستغنيا ووجوده من أحد، بل وجوده ذاتى .

وبهذا يتبين أن طبيعة القديم الغنى الذاتى، أى: أنه غير محتاج إلى غيره وطبيعة الحوادث الإفتقار الذاتى.

وذلك يصل بنا إلى معرفة أن الله سبحانه وتعالى مغاير بذاته لسائر الحوادث.

والغنى بذاته لا يتصور فى وجوده حد، ولا يصح أن يكون مسبوقا بالعدم ولا يطرأ عليه العدم. واصطلح العلماء على وصف ما لا يطرأ عليه العدم بالبقاء. فهو سبحانه باق أبدا.

(س) فهمنا من هذا أن من كمالات الله سبحانه أنه غنى بذاته، وأنه مغاير لسائر الحوادث، وأنه باق أبدا - فهل يمكن أن تضرب لنا مثلا يوضح لنا الغنى الذاتى وعدم مشابهة الخالق لمخلوقاته ؟

(ج) مثل ذلك أن كل جسم له حدود - طول وعرض وارتفاع - فله نهاية. فلا يصح أن يكون أزليا، ويجوز عليه العدم.

والخالق سبحانه أزلى لا بداية له ولا حد فيه فلا يصح أن يكون جسما ولا يشبه الأجسام، والجسم أيضا مفتقر إلى مكان - والمفتقر إلى مكان حادث؛ لأنه لا يتصور وجوده قبل المكان الذى يحتاج إليه.

والخالق الغنى بذاته، لا يكون جسما ولا يحتاج إلى مكان. وكل المخلوقات محدودة، وكل محدود محتاج. والخالق غنى، فلا يشبه المحدودات ولا يشبه شيئا منها، ولا يشبهه شىء منها.

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾
(الإخلاص: ١-٤)

والأحد: الذى لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء.

والصمد: الذى يصمد إليه كل شىء ويحتاج إليه ويقصده، ولا يحتاج إلى شىء.

فلا يتصور الافتقار فى كماله سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾
(العنكبوت:٦)

(س) ما الذى يجب معرفته أيضا من الكمالات الإلهية المقدسة ؟

(ج) من كمالات الحق سبحانه التى يجب على العاقل معرفتها: القدرة والإرادة والعلم والحياة.

إن من ينشئ هذا الكون، من الواضح أنه عظيم القدرة. ولما كانت صفات الخالق غير محدودة؛ فقدرته غير محدودة.

(س) وهل هذه القدرة صالحة لإخراج أى إنسان من ملك الله سبحانه ؟

(ج) القدرة لا تتعلق بالمستحيل، كفرض أن يكون الجسم متحركا ساكنا فى آن واحد من وجه واحد، حيث لا تجتمع الحركة والسكون فى آن واحد. فإما أن يكون الجسم متحركا أو يكون ساكنا.

وإنما تتعلق القدرة بإيجاد ما يقبل الوجود، أو إعدام ما يقبل العدم.

وعلى ذلك فيكون الجواب على هذا السؤال: إن القدرة لا تتعلق بالمحال؛ لأن خروج إنسان من ملك الله محال، ففرض إخراج أحد من ملك الله غير صحيح.

(س) تكلمتم عن بعض الكمالات الإلهية المقدسة وأنه سبحانه عليم حكيم، قديم أزلى، غنى عن العالمين، مخالف بذاته لجميع المخلوقات لا يشبه شيئا منها، ولا يشبهه منها شيء، وأن من كمالاته: القدرة والإرادة والعلم والحياة، وأن القدرة لا تتعلق بالمستحيل، فنرجوا أن توضحوا لنا هذه الصفات وكيفية إثباتها لله عز وجل ؟

(ج) إذا وجدنا ساعة ملقاة فى فلاة، محكمة الصنع، لها عقرب لبيان الساعات، وآخر للدقائق وآخر للثوانى، ومفتاح لملئها إذا فرغت، وعلامة للتقديم والتأخير، ومحركات وقطع دقيقة تؤدى كل منها الغرض المطلوب، وغطاء لوقايتها يفتح ويغلق حسب الحاجة.

فهل يعقل أنها صنعت نفسها من غير عقل ولا فكر، أو صنعها أحد الجاهلين بصنع الساعات ؟

طبعا ليس من المعقول أنها صنعت نفسها ولا يمكن أن يسلم العقل أن أحد الجاهلين بصنع الساعات هو الذى صنعها !!

وأى ساعة أضبط من الشمس !! تلك الساعة العظمى المحكمة التى تحدد الزمن بالدقة، وقد صار لها ألوف الألوف من السنين، ولم تختل عن سيرها.

وأين الساعات والآلات من تلك الكواكب التى تحيط بنا ويرتد الطرف دونها وهو حسير، وقد تشعبت مداراتها واختلف دورانها، كل ذلك فى غاية الدقة والإحكام فى الزمان والمكان ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس:٤٠).

فأى عقل برىء من الميل يعقل أن تلك الساعة العظيمة المضبوطة التى لا يوجد فى الدنيا بحذافيرها- ولو جمعنا ساعات الأرض - ساعة تدانيها فى الضبط، أو أى آلة فى دقة السير، تكون نتيجة لعمل جاهل، أو أنها كونت نفسها من غير علم ولا حكمة ؟

(س) هل يمكن أن تضرب لنا مثلا فى دقة تنظيم الكواكب وحاجتها إلى عليم ينظمها ؟

(ج) إذا رأيت حجرًا دائرًا أو طيارة أو ما ماثل ذلك، ورأيت كيف يبعد ما دنا منه من الأجسام الصغيرة، فلنسم تلك القوة التى فيه القوة المركزية الطاردة. ولو كان ذلك الحجر من المغناطيس وذلك الجسم الصغير من الحديد، لكان فى الحجر قوتان، إحداهما المركزية الطاردة، والأخرى القوة الجاذبة فإن تغلبت قوة الجذب جذبت الجسم إلى الحجر، وإن تغلبت قوة الطرد دفعت به بعيدًا عنه فإن كان فى مكان تتساوى فيه القوتان، بقى لا مجذوبا ولا مطرودًا.

وبما أن الحجر الأصلى دائر فإنه يدور حوله فى مداره الخاص لا مجذوبا ولا مطرودًا، فلا يتقدم عن ذلك الفلك ولا يتأخر، فإن تقدم جذب وإن تأخر طرد.

ذلك حال القمر مع الأرض. فالقمر تلك الحصاة والأرض الحجر الأصلى الدائر حول نفسه، والقمر منها فى مكان متوسط بين قوتى الجذب والطرد، والأرض بالنسبة للشمس كذلك فى مكان متوسط بين قوتى الجذب والطرد، وهذا هو نظام المجموعة الشمسية، ونظام ما يدور حول القطب من الكواكب، ونظام الكواكب كل كوكب يتبع كوكبا فى مكان متوسط بين قوتى الجذب والطرد، لا يتقدم أحدهما شعرة ولا يتأخر.هذا هو النظام البديع الدقيق فى الكواكب؛ فهذا يدور حول هذا، وذاك يدور حول ذلك فى مدارات محددة لا يصطدم هذا بذاك، ولا ذاك بذلك.

فأى علم وأى حكمة وأى قدرة وإبداع تحتاج هذه الملايين المختلفة المتباينة المدارات لتنظيمها وتنسيقها واختصاص كل منها بفلكه لا يتعداه؟!

إن تكليف موجود جاهل كالمادة بذلك من المضحكات. وأسخف منه أن يتصوره عقل إنسان، وأسخف منه ألا يخجل أن يصرح أنه يصدق مثل هذا الوهن الذى هو دعوى ساقطة.

(س) هل ما ذكرتموه عن هذا النظام هو ما قرره علماء الطبيعة. وماذا تستنتج من هذا النظام البديع المحكم ؟

(ج) نعم قرر علماء الطبيعة: كل ما يتعلق بهذا النظام وقرروا: أن العالم كله كان كتلة واحدة ثم تفرقت. فخبرني أنظمت نفسها وكل منها اختار مكانا ملائما للجميع حتى لا يصطدم مع الكواكب الأخرى ؟ أى عقل يقبل أن يلغى تفكيره ويفكر برأس قوم يخالفون العلم باسم العلم لأغراض فى أنفسهم ؟ أما العلم الصريح الحر الذى لا يعرف التقليد ولا الأغراض فيجزم بلا أدنى تردد أن هذه حكمة حكيم عليم ذى قدرة شاملة، ويقف طروبا لوصوله إلى الحق وإعلانه للعالمين.

وتصور أنه قد اختل كوكب عن مداره فاصطدم بكوكب آخر، أليس يختل عن مداره فيصطدم فى كوكب آخر؟! والآخر كذلك ؟! وليس ذلك مثل اصطدام قطار فى قطار. وتصور أن الشمس أكبر من الأرض ألف ألف وثلاثمائة ألف مرة، ويوجد فى الكواكب ما هو أعظم من الشمس بكثير. تلك ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (القارعة: ١، ٢). إذ ذاك ترى ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ (الواقعة: ٥، ٦).

(س) علمنا من هذا أنه سبحانه وتعالى عليم حكيم قادر فما هو طريق الاستدلال على إرادة الحق للكون ؟

(ج) لو شبت نار فى قرية، فإنها تحرق بقدر قوتها من غير مراعاة لمنافع الناس ولا قصد منها لذلك التدمير، وكذلك إن هب ريح عاصف، فإنه يدمر من غير عقل ولا تفكير، أو طغى سيل على أمة أو ثار بركان.

أما عمل العقلاء الذى يراد لمنفعة مقصودة، فنحن نشعل النار لنهيىء طعامنا بها، فإذا قضينا أغراضنا أطفأناها، ونشعل المصابيح ليلا لتنير لنا الظلام، ولا نشعلها نهارًا، لأنه لا فائدة من إشعالها، ونصنع للأبواب قفلا

يفتح بشكل خاص. ونفتح سبيل الماء إلى الزرع بقدر ما يكفى لريه ثم نحبس عنه الماء. ونفتح النوافذ صيفا ونقفلها شتاء. فهذا عمل مقصود يراد به منافع معقولة فهو نتيجة علم وحكمة وإرادة وقصد.

فإذا نظرنا إلى أنفسنا نجد أن العين لها حكمة هى مقصودة بذاتها فلولاها لما أبصرنا شيئا. والأذن لها حكمة ولولاها لما سمعنا شيئا، واللسان والأسنان التى تمضغ الطعام والريق الذى يساعد على ابتلاعه، والمعدة للهضم، والرئتان للتنقية، والأعصاب والشرايين والعظام والمفاصل كلها لحكم مقصودة بالذات؛ تلك آيات الإبداع نقرؤها فى نفوسنا قبل أن نقرأها فى الآفاق.

وحسبك أن تتصور كيف يكون حال الإنسان لو لم تكن له أعصاب مثلا، أو لم يكن له رئتان لتصفية الهواء وتنقية الدم، أولم يكن له معدة، أو قلب أو مخ. إلى ما لا يتناهى من نعم، وسائل نفسك؟ الجواب - ما كان يستطيع الإنسان أن يعيش بهذه الحياة المعروفة.

وإذن فصانع الإنسان والأكوان ليس فحسب عليما حكيما؛ بل هو العليم الحكيم الذى خلق كل شىء بقدر وصوره فأبدع تصويره وأحكم خلقه. وهو قادر وقدرته شاملة وإرادته واضحة فى دقائق الكون فما خلق شيئا عبثا. شاء وأراد فكان ما شاء وأراد.

(س) كيف نستدل على صفة الحياة لله عز وجل ؟

(ج) عرفنا فيما مضى أن فاقد الشىء لا يعطيه، وأنه لا يهب الشىء غير مالكه. وإن الإنسان لا يشك فى حياة نفسه وحياة كل حى وإن كان لا يعرف كنهها. وأن هذه الحياة ممنوحة له بعد أن كان فاقدًا لها. فهذه الحياة المحدودة الممنوحة للإنسان لا يمكن إلا أن تكون من حى مالك للحياة، ومعنى كونه مالكها: أنه لم يكتسبها من غيره. فهى حياته الذاتية الأزلية الأبدية التى لا يمكن أن يكون فيها حد أو نهاية.

وإذا كان الإنسان لا يدرك كنه روحه وكيف أنها تحيى الجسد ويحيى بها الجماد بإذن الله فهو أولى أن لا يدرك كنه الحياة الإلهية الأزلية الأبدية. قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الاسراء: ٨٥).

الكمالات الإلهية - الوحدانية

(س) علمنا مما سبق أن من صفات الحق تبارك وتعالى أنه سبحانه عليم حكيم قديم أزلى غنى عن العالمين مخالف بذاته لجميع مخلوقاته وأن من كمالاته أيضا القدرة والإرادة والعلم والحياة.

فهل هناك من الكمالات الإلهية - وهى لا تحد - ما يجب أن نعرفه غير هذه الكمالات ؟

(ج) كما أننا عرفنا أنه لا يهب الحياة إلا مالك الحياة لأن العقل الإنسانى على يقين بأن فاقد الشىء لا يعطيه - فواهب السمع والبصر والكلام حى سميع بصير متكلم مالك للحياة وجميع الصفات الكمالية المتعلقة بالحياة. وهذه الصفات هى كسائر صفات كماله أزلية أبدية لا تكيف بكيف المخلوقات، ولا يتطرق إليها حد، فليس سمعه سبحانه كسمع الخلق يحتاج إلى آلة للسمع، وكذلك البصر وكذلك الكلام.

(س) وماذا يجب أن نعرفه أيضا عن صفات الكمال لله تبارك وتعالى التى لا يعد المؤمن مؤمنا إلا باعتقادها ؟

(ج) من صفات الكمال التى لا يعد الإيمان إيمانا إلا باعتقادها أن الخالق سبحانه واحد فى ذاته، واحد فى صفاته، واحد فى فعله.

(س) ما معنى واحد فى ذاته وصفاته وفعله ؟

معنى كونه واحدًا فى ذاته: أنه لا نظير له؛ لأننا لو فرضنا أن له مماثلا واحدًا - وهذا أقل الأعداد- فإننا نتساءل: هل يستطيع أحدهما

أن يخالف الآخر أو لا يستطيع، حتى على فرض أنهما متفقان؟ فإن كان لا يستطيع مخالفة الآخر فهو عاجز؛ لأن قدرته إذ ذاك غير مطلقة. وهو إذ ذاك لا يكون مماثلا للقادر. وإن كان كلاهما كذلك فهما عاجزان، قدرتهما محدودة. وقد ثبت أن الخالق لا يمكن أن يكون محدودًا فى صفة من صفات كماله. وإن كان كل منهما يستطيع مخالفة الآخر فلن تنفذ إرادتهما معا. فإما أن تنفذ إرادة واحد منهما وتبطل إرادة الآخر. فالآخر الذى بطلت إرادته مجرد عن الألوهية. أو أن تتعطل إرادتهما معا، فبطلت ألوهيتهما. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢) والخالق سبحانه الأزلى الأبدى لا يمكن إلا أن يكون فى أعلا رتبة من الكمال الذاتى.

ومن يصح أن يكون له نظير فليس هو فى أعلا رتبة؛ لأن له نظيرًا فى رتبته. وهناك مرتبة أعلا من هذه الرتبة وهى أن يكون من الكمال بحيث يستحيل أن يكون له نظير وهذه هى المرتبة الفردانية التى تليق بالكمال الأعلا تنزه الحق سبحانه عن كل نقص، والشريك نقص فى مرتبة الألوهية ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

فإذا كان هذا فى أقل التعدد وهو اثنان: فالأولى أن يستحيل ما هو أكثر من اثنين.

على أنه لا يمكن فى العلم ولا فى العقل أن يقام دليل على حد مخصوص للتعدد. فمن يزعم أنه اثنان - مع أن هذا باطل - لا يستطيع أن يقيم الدليل على أنه اثنان إذ يجوز أن يكون أكثر من ذلك. وكذلك من يزعم أنه أربعة فيقال له: لم لا يكون ثلاثة أو خمسة أو أزيد؟

فلا يمكن أن يقام دليل ما إلا على أن الله سبحانه وتعالى واحد أحد.

إذن فواجب الوجود سبحانه منزه عن المماثلة، فهو واحد فى ذاته سبحانه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (الاخلاص: ١، ٢). ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (الإسراء: ١١١).

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

الكمالات الإلهية - وحدانية الصفات - وحدانية الأفعال

(س) تكلمنا عن وحدانية الله تبارك وتعالى وأنه منزه عن المماثلة فليس له نظير - فهو واحد فى ذاته إذ لا يوجد ذات كذاته - فكيف نفهم أنه سبحانه وتعالى واحد فى صفاته ؟

(ج) حيث قد علمنا أن الخالق لا يكون إلا واحداً سبحانه - وكل ما سواه مخلوق- فلا يمكن لمخلوق أن تكون له صفة كصفة الخالق.

فلا تظن أن علمه كعلمنا فنحن مثلا لا نعلم كتابا إلا بعد اطلاعنا عليه. ولو لم نر السرير لما علمناه. وكذلك الأشخاص والحيوانات وسائر الموجودات التى وصل علمنا إليها. فقبل رؤيتها أو السماع عنها أوالطريق التى وصلنا بها للعلم بها لم نكن نعلمها، فصور الأشياء وجودها سابق لعلمنا، وأما الخالق الذى أوجد الأشياء بقدرته، الغنى بذاته فعن علمه وجدت الأشياء. فعلمه سابق لوجودها، فشتان بين علمنا الذى قد يسبقه وجود الحوادث، وبين علمه الذى يسبق وجود كل حادث. وأيضا علمنا محدود، وعلمه مطلق عن كل حد. فهو يعلم الموجود والمعدوم، وما يوجد وما يعدم وما لم يكن كيف يكون. من غير حد ولا حصر.

وصفاتنا موهوبة لنا منه، لا نملكها وهى فينا، فإن شاء أن يذهب

سمعًا من أحد، أو بصرًا أو حياة أو علمًا أو أى صفة مما أعطاه، فلا يستطيع أحد منعه. كما أنه إن شاء أن يمنح حياة أو أى صفة من صفات الكمال فلا يمنعه أحد. ولا يملك سواه معه شيئًا.

وقد علمنا أن صفاتنا ليست فحسب موهوبة منه لنا وملكا له فقط، بل هى مع ذلك محدودة. أما صفاته فذاتية له وغير محدودة، وكما أن علمه ذاتى وغير محدود، وعلمنا مكتسب منه ومحدود، فإرادته كذلك ذاتية غير محدودة، وحياته، وسمعه، وبصره، وكلامه، وقدرته، وكل كمالاته بخلاف صفاتنا.

فلا يمكن أن يكون لأحد قدرة كقدرته، أو علم كعلمه، أو أى صفة كصفاته، وهذه هى وحدانية الصفات.

ومثل ذلك أننا نبصر بآلة هى العين. ولولاها لما أبصرنا. ولولا الأذن لماسمعنا أما هو سبحانه وتعالى فلا يحتاج لآلة. فإنه غنى بذاته عن كل شىء.

فهو سميع بصير متكلم بذاته.

وحسبك أن كل كمال فى غيره هو منحة منه وهو قيومه فهو ملك له وهو المنفرد بالتصرف فيه. فلو فرضنا أن شيئا من الحوادث استطاع أن يسمع من غير أذن، أو يبصر من غير عين، فهو لا يزال محتاجا فى وجوده فضلا عن بقية صفاته لله تبارك وتعالى.

وشتان بين المحتاج والغنى - والمحدود وغير المحدود.

فمن اعتقد أن كمال الله عز وجل مكتسب من غيره فهو كافر أو اعتقد أن قدرته محدودة أو علمه محدود، أو إرادته محدودة، أو أى كمال من كماله محدود فهو كافر ما عرف الله ولا عرف الإسلام.

ومن اعتقد فى شىء ما سوى الله عز وجل أن له كمالا ذاتيا لم يكتسبه من ذات الله سبحانه بمحض فضله وإحسانه، وإن اكتسبه من الحق ولكنه مطلق عن الحدود كصفات الله فهو مشرك كذلك.

فمن وصف ذات الله بصفة الخلق فهو مشرك، ومن وصف الخلق بصفة الله عز وجل فهو مشرك.

فصفات الله عز وجل ذاتية مطلقة عن الحدود، وصفات الخلق مكتسبة محدودة.

وبذلك عرفت صفات الحق وعرفت صفات الخلق.

فجاء الأنبياء جميعًا بدين واحد فى العقيدة هو دين التوحيد والتنزيه لصاحب الكمال الأعلى سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الصافات: ١٨٠).

(س) ورد فى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما قد يفهم منه من لا يحسن الفهم، تشبيها لله بخلقه. كقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠)

(ج) إن اليد قد وردت فى السنة المطهرة لا بمعنى العضو المعروف. فقد قال ﷺ قبل وفاته لأزواجه: «أسرعكن بى لحوقا أطولكن يدا» - فظن أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أن المراد باليد: اليد المعروفة من الجوارح فأخذن يبحثن أيتهن أطول يدًا فوجدوا أن أم المؤمنين سودة بنت زمعة هى أطولهن يدًا. ثم كان أول من توفى منهن ولحق برسول الله ﷺ هى زينب بنت جحش، وكانت كثيرة الصدقة. فعلمن أن المراد بطول اليد كثرة الصدقة. فاليد الحسية غير اليد المعنوية وفى كل لغة اصطلاح خاص يفهمه أهل الفقه.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠). اتفق السلف والخلف من علماء المسلمين بغير خلاف أنه لا يراد باليد: العضو المعلوم وكون السلف رضوان الله عليهم فوضوا الأمر فيها ولم يعينوا المراد منها وذلك لأنهم كانوا يرون أن ذلك التفويض كاف

وصالح لذلك الزمن. فإذا كان هناك من الأحوال التى يفهم بها الدين بعيدًا عن الشبهات الوثنية وتشبيه الله بخلقه - كما كان فى بعض الأديان التى أبطلها الإسلام فمن الممكن أن يحمل مثل هذا الوارد على ما جرى عليه عرف العرب مما يلائم كمال الحق عز وجل وتنزيهه عن النقائص الخلقية. وقد ثبت عنه ﷺ فى الحديث القدسى: «من تقرب إلى شبرًا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة» وقد أجمع علماء المسلمين على أن التقرب هنا ليس التقرب الحسى فإن الله عز وجل منزه عن المكان، وإنما المراد بإجماع العلماء وسائر العقلاء من المسلمين على أنه تقرب معنوى بتوحيد الله والإيمان وبالعمل على مرضاته وخشيته ومحبته وطاعته وطاعة رسوله ﷺ:

قال تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ (طه: ٩٣)، ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور: ٤٨). ظاهر المراد به: العناية والرعاية الخاصة بعبده الذى اصطفاه وأيده واختاره.

ويقاس على ذلك جميع ما ورد مما يوهم التشبيه كما ورد من أن الله سبحانه يدنو من عباده عشية عرفة، فإن معناه هو معنى التقرب إلى عباده المتقربين إليه بالأعمال الصالحة والدعاء فإنه يزيد ثوابهم ويكشف عن بصائرهم ويزيدهم قربا منه بمحبته ومعرفته فإن القرب الحسى غير مراد بإجماع علماء المسلمين - وكذلك النزول والمجىء أى يجىء بعذابه أو برحمته، وكل هذا سائغ جار على الأساليب العربية الفصيحة.

(س) ما حكم من ينسب النهاية والحدود لله تعالى ؟

(ج) من ينسب النهاية والحدود لله تعالى - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا - سواء فى ذاته أو فى صفاته، ومن اعتقد فى مخلوق أنه له صفة غير محدودة كعلم أو قدرة؛ حكمه: أنه كافر؛ لأنه مشبه لله بخلقه.

(س) وما وحدانية الفعل ؟

(ج) حيث أن الخالق سبحانه واحد وكل ما سواه مخلوق وهو خالق كل شيء فكل ما سواه فعله، لأنه الذى أنشأه. وما يظهر لنا من التوالد فى النبات والحيوان والإنسان، فهو سبحانه الذى نظم الأسباب وربطها بمسبباتها، وهو الذى علم الإنسان مالم يعلم، فكل ما يفعل الإنسان هو راجع إلى أن الله عز وجل منحه القدرة على الفعل والترك وعلمه الأخذ بالأسباب وجعل فيه العقل الذى يفكر، وهيأه على صورة خاصة، وأعطاه الاستعداد والإمكانيات التى يرقى بها عن عالم الجماد والنبات والحيوان ويتصرف بإذن الله أن وتعليمه له وإرشاده فى الدائرة التى أقدره الله. عز وجل على التصرف فيها. ولو أن الله عز وجل حبس عنه فيضه وإمداده بما منحه من علم وقدرة لعاد إلى مرتبة الجماد بل لما كان شيئًا مذكورًا.

ومعنى هذا: أنه لا يتصرف أحد فى الوجود غيره، وهو الذى يصرف من شاء من خلقه فيما شاء كما شاء. ولا يمنع هذا أن الإنسان مسئول عن عمله فإنه سبحانه منحه فيما منحه العقل والتمكن فى الدائرة التى كلف فيها ولا يؤاخذه إلا بما أعطاه من القوة على التمييز والقدرة على الفعل والترك - وما خرج عن حد قدرته فلا يؤاخذه الله عليه - قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وخلاصة الأديان كلها التى جاء بها الرسل أمران:

أن الله عز وجل واحد أحد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأن كماله سبحانه ذاتى ليس له نهاية،

وأنه انفرد بخلق الكائنات كلها. فإنه سبحانه منزه عن الشريك فى الخلق ولم يشرك أحدا من خلقه فى خلق شيء، أو فى نظام الكائنات. قال تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ (الكهف: ٥١). فهو قادر غير عاجز، غنى غير محتاج. فالملك والملكوت والسموات والأرض

صنعه وإنشاؤه وحده. وليس لمخلوق فضل على مخلوق فى إبداعه وتكوينه. وما من فضل وصل إلى مخلوق من مخلوق إلا وهو راجع إلى المبدع الأول سبحانه، فإنه هو المعطى الحقيقى والمحسن الحقيقى، سخر كل شىء بحكمته وهو المنعم الأعلى الحقيقى. ولذلك لاتصح عبادة غيره. ولا توجيه الشكر لغيره لأنه المعطى المانح وحده فكل فعل فى الوجود فعله وكل فضل فى الوجود فضله.

﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل: ٦٤).

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (العنكبوت: ٦١).

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم: ٢٧).

النبوات، التكليف، والجزاء

(س) تكلمتم عن الكمالات الإلهية الواجب اعتقادها فى الحق سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه عليم حكيم قدير وأنه متصف بكل صفات الكمال منزه عن كل نقص، وأوضحتم ذلك بطريق الاستدلال العقلى فكيف نعرف النبوات عن طريق العقل ؟

(ج) لا يمكن أن يسوى الخالق الحكيم الذى نطق كل شىء بكمال حكمته، وبديع صنعه، بين الظالم والمظلوم من العباد. فإما أن يكلف العباد أو لا يكلفهم. فإن تركهم بغير تكليف فقد أقر الظلم، وإقرار الظلم ظلم، وهذامستحيل على الله عز وجل.

فلا بد من تكليف العباد ومؤاخذتهم؛ لأن هذا مقتضى كماله، تفضلا منه لا وجوبا عليه.

(س) ألا تكفى الشرائع الوضعية فى مؤاخذة الناس ؟

(ج) لا يعقل أن يترك الحكيم سبحانه العباد يشرع بعضهم لبعض؛ لأن أى تشريع وضعى لابد أن يتأثر صاحبه بالبيئة التى نشأ فيها، بالعادات التى تعودها، حتى صارت طبيعة له فى لحمه ودمه وقرارة نفسه بطريقة لا يشعر هو بها.

فالبيئة التى تعودت أكل لحم البشر مثلا، لا يعقل أن تنفر منه. وكذلك البيئة التى تعودت شرب الخمر أو تراقص النساء والرجال، لا يعقل أن تنفر منه بل تبرره.

فلا يعقل إذن أن يؤاخذ رب الخلقِ الخلقَ بالقوانين الوضعية كالقانون الفرنسى أو القانون الصينى أو قانون جنوب أفريقيا؛ لأنها تشريعات أثبت أهلها أنها ناقصة، ولذلك يبدلونها ويغيرونها بحسب الظروف التى يبدو لهم خطؤها وأنها لاتصلح بعد أن كانوا يظنون صلاحها.

فالمعقول أن الحكيم الأعلى سبحانه إنما يؤاخذ الناس بالتشريع الذى ينزله إليهم.

ولا خلاف بين العقلاء فى أن التشريع الإلهى فوق أهواء البشر، لا يتأثر بأى بيئة من بيئاتهم. وهو أعلم ببواطن البشر؛ لأنه الذى خلقهم وأعلم بما يصلحهم.

كما أنه لاخلاف فى أن التشريع الذى ينزله الحق سبحانه وتعالى أفضل وأحكم من أى تشريع وضعى يضعه أى فرد من البشر.

وهذا يقتضى التكليف. ويقتضى إرسال الرسل بحسب حاجات البشر.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء : ١٥) ،

﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٥).

﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ ﴾ (الملك : ٨، ٩).

وإذا آمنا بالأنبياء وهم الذين أرسلهم الله لهداية الخلق، اقتضى هذا أن نؤمن بكل ما جاء به الأنبياء من الكتب. ومن ذلك الإيمان بالملائكة.

وإذا كانت البشرية تبحث الآن عمن يسكنون الكواكب، فقد ذابت الاعتقادات الفاسدة من أقوال المنكرين لكل ما لم يقع تحت الحس، إذ قد آمنت البشرية أن هناك كائنات وراء ما وصل إليه علمنا، وما وقعت عليه حواسنا.

(س) وكيف يمكن التمييز بين النبى الصادق وبين من يدعى النبوة كذبا؟

(ج) لابد من علامات تؤيد السفراء بين الله وبين عباده، ليميز الله عز وجل النبى الصادق الذى أرسله، والمتنبئ الكاذب الذى يدعى النبوة كذبا ولم يرسله الله عز وجل.

وقد أخبرنا الله عز وجل فى كتابه العزيز أنه أرسل جبريل عليه السلام بالوحى على رسوله ﷺ، كما أنزل الوحى على الأنبياء السابقين. وأيد الأنبياء عليهم السلام بالمعجزات الدالة على أن الله عز وجل اختارهم لتبليغ رسالته إلى خلقه.

ولما كان منظم الكون هو الله وحده، فلا يغير هذا النظام إلا هو وحده.

ولذلك لما حاج الملك إبراهيم فى ربه، قال إبراهيم: ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ (البقرة ٢٥٨). فإن الإحياء والإماتة التى أرادها إبراهيم عليه السلام إحياء الميت لا بقاء الحياة على الحى. والإماتة التى

أرادها غير القتل الذى فعله ذلك الملك بأن جاء برجلين حكم عليهما بالإعدام فعفا عن أحدهما وقتل الآخر وقال: أنا أحيى وأميت وهو كاذب، فأعرض إبراهيم عليه السلام عن هذه المغالطة. وأقام عليه الحجة بأمر بين واضح يظهر عجزه فيه للملأ قال: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨). ومعنى هذا: أنه لا يخرق النظام إلا رب النظام.

وقد أرسل الله الأنبياء وأيدهم بالمعجزات التى تناسب القوم الذين أرسلوا إليهم.

من معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام

(س) ذكرتم أن الحق سبحانه وتعالى لا يمكن أن يسوى بين الظالم والمظلوم من العباد وأنه لابد من تكليفهم ومؤاخذتهم - تفضلا منه لا وجوبا عليه - لأن تركهم بغير تكليف إقرار للظلم وهو سبحانه منزه عن الظلم. وأنه لا يؤاخذهم إلا بالتشريع الذى ينزله لأنه تشريع غير متأثر بأهواء البشر. وهذا يقتضى إرسال الرسل بحسب حاجات البشر. وأنه أيد رسله بالمعجزات التى تناسب القوم الذين أرسلوا إليهم ليعرف بها النبى الصادق من المتنبئ الكاذب.

فكيف كانت المعجزات التى أيد الله بها أنبياءه ورسله تناسب القوم الذين أرسلوا إليهم ؟

(ج) لما كان السحر منتشراً فى عصر سيدنا موسى عليه السلام، أيده الله بما يبطل السحر من الحقائق التى ظهر للسحرة أنها خرق للنظام الكونى، وأنها حقائق لا خيالات، وكان السحرة أول المؤمنين.

ولما كان الطب فى عصر سيدنا عيسى عليه السلام؛ أيده الله؛ عز وجل بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. وليس المسيح عليه السلام

هو الذى يحيى الموتى من نفسه بنفسه، ولكن الله عز وجل هو الذى يحيى الموتى على يديه حقيقة. ولذلك قال تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٤٩)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (المائدة: ١١٠).

ولما كان العرب الذين أرسل منهم رسول الله ﷺ أئمة الفصاحة والبيان، أرسل الله عز وجل رسوله سيدنا محمداً ﷺ بكتاب الله المعجزة القرآن. وتحداهم بأن يأتوا بأصغر سورة من مثله فعجزوا.

وما من معجزة لنبى من الأنبياء عليهم السلام إلا ولرسول الله ﷺ مثلها أو أعظم منها.

(س) نرجو أن تذكروا لنا شيئاً من معجزات سيدنا محمد ﷺ التى أيده الله تعالى بها ؟

(ج) معجزات النبى ﷺ منها المعنوية ومنها الحسية. والمعجزات المعنوية لا تحصى - أخلاقه وآدابه وجمع القرآن للعلوم والمعارف وتنظيم المجتمع بأحكم صورة.

ومن أعظم المعجزات أنه أميّ ورُبِّى يتيما فى وسط أمة أمية تشتغل بالغزوات، والحكم فيها للقوة، والغلبة فيها لمن يغلب. وقد أتى بالحق الواضح فى العقائد والمعاملات والتشريع، وأحيا أمة كانت تتيه فى ضلالات الجهل، فأصبحت الأمة التى رفعت راية العلم والعدالة والأخلاق الكريمة، وقوضت صروح الظلم، ووضعت أسس الفضيلة فى مشارق الأرض ومغاربها، حتى كانت مناراً وأساسا لما اقتبسته أوروبا من علومها، وما زالت تبنى عليه، حتى وصلت إلى ماوصلت إليه من العلوم الحديثة.

ولولا أن المسلمين اضطروا لظروف خاصة للاشتغال بالحروب والفتن التى وضع أسسها أعداؤهم. ولو أنهم تفرغوا وبنوا على ما وصلوا إليه من العلوم التى اقتبستها منهم أوروبا لوصلوا إلى أعظم مما وصل إليه الأوروبيون.

ومن أعظم المعجزات، القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فإنه معجزة مستمرة على الآباد.

وقد تحدى به الثقلين الإنس والجن، على أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نبى إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» رواه الإمام مسلم.

والمعنى أن كل نبى أوتى من خوارق المعجزات مايقتضى إيمان من رأى ذلك من أولى البصائر، إنما كان الذى أوتيته - أى جله وأعظمه - القرآن، فإنه لا يبيد ولا يذهب كما ذهبت معجزات الأنبياء، فإنه معجزة باقية مستمرة.

وسنتكلم فيما بعد إن شاء الله عن معجزاته الحسية ﷺ.

★ ★ ★

من معجزات النبى ﷺ الحسية

إن الله سبحانه أيد رسله بالمعجزات التى تناسب القوم الذين أرسلوا إليهم ليعرف النبى الصادق من المتنبئ الكاذب وتكلمتم عن معجزات نبينا ﷺ وأوضحتم أن منها المعنوية ومنها الحسية، وذكرتم بعضا من المعجزات المعنوية وأن أعظم معجزاته ﷺ القرآن العظيم.

(س) فنرجو أن تذكروا لنا شيئا من معجزاته الحسية التى أيده الله بها .

(ج) اختص الله نبينا ﷺ بمعجزات عظيمة لم تكن لأحد قبله من الأنبياء عليهم السلام. كما أن له ﷺ معجزات مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله عليهم السلام فمما اختصه الله به من المعجزات، تكثير الماء والطعام فى غير ما موطن.

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ، وحانت صلاة العصر. والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده فى ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضأوا منه.

فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم. رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

وعن جابر رضى الله عنه: عطش الناس يوم الحديبية، والنبى ﷺ بين يده ركوة فتوضأ منها. ثم أقبل الناس نحوه. فقال: ما لكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا شراب إلا ما فى الركوة. فوضع يده فى الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. فشربنا وتوضأنا. فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. رواه الشيخان.

وعن البراء رضى الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة. فبلغ ذلك النبى ﷺ، فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ فمضمض ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا. رواه البخارى.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا. كنا مع النبى ﷺ فى سفر فقل الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل وأدخل يده فى الإناء. ثم قال: حى على الطهور المبارك والبركة من الله. فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه.

ولقد كان يسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، رواه البخارى، وقد شرب من قدر لبن أهل الصفة جميعا، وأبو هريرة رضى الله عنه، شربوا حتى رووا ثم شرب رسول الله ﷺ من الفضلة. روى ذلك البخارى والترمذى.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: بعثنى أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ لأدعوه، وقد جعل له طعاما. فأقبلت ورسول الله ﷺ مع الناس، قال فنظر إلى فاستحييت، فقلت: أجب أبا طلحة. فقال للناس قوموا. فقال أبو طلحة: يارسول الله، إنما صنعت شيئاً لك. قال: فمسها رسول الله ودعا فيها بالبركة، ثم قال: أدخل نفرًا من أصحابى عشرة، فقال: كلوا. فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا، وقال: أدخل عشرة. فأكلوا حتى شبعوا، فما زال يدخل عشرة، ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ثم هيأها فإذا هى مثلها حين أكلوا منها. رواه الإمام أحمد ورواه مسلم أيضا.

والأحاديث فى تكثير الطعام كثيرة.

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم كذلك حنين الجذع إليه، وانقياد الشجر له، وتسبيح الحصى فى كفه عليه السلام، وتسبيح الطعام، وغير ذلك من المعجزات التى لا تكاد تحصر. ومنها أيضا الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر.

عن ابن مسعود رضى الله عنه، بينا نحن مع النبى ﷺ بمنى، إذ انفلق القمر فلقتين؛ فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا النبى ﷺ «اشهدوا». رواه الشيخان والترمذى.

وعن أنس رضى الله عنه أن أهل مكة سألوا النبى ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر. رواه الشيخان والترمذى. وفى رواية الترمذى عن جبير بن مطعم: انشق القمر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين. فقالت قريش سحر محمد أعيننا، فقال بعضهم، إن كان سحرنا مايستطيع أن يسحر الناس كلهم. زاد رزين فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم أنهم قد رأوه فيكذبونهم.

ومعلوم أن القمر تابع للأرض فانشقاقه لا تأثير له عليها. وخوارق العادات أمرها موكول إلى الله عز وجل لا تقاس على الأسباب العادية. وكل أمر جاز عقلا ودخل تحت القدرة الإلهية وثبت بالنقل الصحيح فى الشريعة المحمدية يجب التسليم به مادام لا يمنعه عقل ولا شرع.

ومن إخباره ﷺ بالمغيبات كما رواه البخارى ومسلم:

عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله.

وعن عدى بن حاتم بينا أنا عند النبى ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدى هل رأيت

الحيرة؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها. قال: إن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله. قلت فيما بينى وبين نفسى فأين دعار طيىء الذين سعروا البلاد. ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى بن هرمز. قلت كسرى بن هرمز؟ قال كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من فضة أو ذهب يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فليقولن ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول بلى يارب. فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول بلى يارب. فينظر عن يمينه لا يرى إلا جهنم وينظر إلى شماله فلا يرى إلا جهنم. وسمعته ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة. قال عدى: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه. رواه البخارى.

عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنى سألت ربى أن لا يهلك أمتى بسنة عامة، ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربى تعالى قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم. ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان، وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كل يزعم أنه نبى،

وأنا خـاتم النبـيـين لا نبى بعـدى، ولا تزال طائفـة من أمـتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله.

رواه مسلم والترمذى وأبو داود.

وعن أنس رضى الله عنه أنه بلغ عبـد الله بن سـلام مقـدم النبى ﷺ المدينة، فـأتاه وقـال: إنى سـائلك عن ثلاث لا يعلمـهن إلا نبى. مـا أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أى شىء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أى شىء ينزع إلى أخواله؟

فقـال ﷺ: أخبـرنى بهن آنفا جبريل - قـال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة - أمـا أول أشـراط السـاعة فنار تحشـر النـاس من المشـرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت. وأما الشبه فى الولد، فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبقت كان الشبه لها. قال: أشهد أنك رسول الله: ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسـلامى قبل أن تسألهم بهتونى عندك. فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت. فقال ﷺ: أى رجل فيكم عبد الله ابن سلام؟

قـالوا أعلمنـا وابن أعلمنا، وأخيـرنا وابن أخيـرنا. فقـال ﷺ: أفـرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقـال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شـرنا ووقعوا فيه. وفى رواية قال: هذا الذى كنت أخافه يارسول الله. رواه البخارى.

وكما ذكرنا سـابقا أنه مـا من معجـزة لنبى من الأنبياء عليهم السـلام إلا ولرسول الله ﷺ مثلها أو أعظم منها.

فمن ذلك خمـود النار لسيدنـا إبراهيم عليه السـلام فقد خمـدت نار فـارس لمولده ﷺ وبينه وبين مـبـعـثـه أربعـون سنـة. وخـمـدت نار إبـراهيم لمباشرته لها، أما نار فارس فقد خمدت وبينه وبينها مسافة أشهر.

وأما حياة عصا موسى، فقد سبح الحصا فى كفه ﷺ وهو جماد، وتسبيح الطعام وهو يؤكل، وكذلك الأحجار سلمت عليه ﷺ. كما رواه مسلم.

وما وقع لأصحابه رضى الله عنهم من الكرامات وخوارق العادات فهو معجزة له ﷺ لأنه إنما وقع لهم ببركته ﷺ وتأييداً لرسالته ﷺ.

وقد نجى الله نوحا بالسفينة مع المؤمنين. ولاشك أن حمل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه فى السفينة. وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء، وفى قصة العلاء الحضرمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فقد روى منجاب قال: غزونا مع العلاء الحضرمى داوين، فدعا بثلاث دعوات فاستجيب له فنزلنا منزلا نطلب الماء فلم يجده، فقام وصلى ركعتين وقال: اللهم إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ به ونشرب ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إداوتى وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا، فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابى نسيت إداوتى، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط. ثم سرنا حتى أتينا داوين والبحر بيننا وبينهم. فقال: يا على يا حكيم إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك. اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شىء. إلى آخر القصة.

فهذا أبلغ عن ركوب السفينة وأبلغ من فلق البحر لموسى عليه السلام فإن هناك انحسر الماء حتى مشوا على الأرض فالمعجزة انحسار الماء وها هنا صار الماء جسداً يمشون عليه كالأرض، وإنما هذا منسوب إلى النبى ﷺ وببركته.

الإيمان باليوم الآخر - البعث والجزاء

تكلمنا فيما مضى عن التكليف وأن الكامل الذى برأ الخلق بحكمته لا يعقل أن يترك عباده يتعاملون فيما بينهم بغير أن يضع لهم تشريعا يرجعون إليه يوجههم إلى الخير ويبعدهم عن الشر والظلم. وقد فعل سبحانه وأرسل الرسل بالتشريع وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم وجمع هذه المعجزات الحسية والمعنوية فى خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ.

(س) فما هى الصورة التى وردت فى الشرائع السماوية عن جزاء الإنسان عن أعماله التى كلفه الله بها فى هذه الحياة على لسان رسله عليهم السلام ؟

(ج) جاءت الشرائع كلها بوجود نشأة غير هذه النشأة والعقل الصحيح يؤيد ما جاءت به الشرائع عن هذه النشأة الآخرة فإن هذه الحياة الدنيا يخرج الظالم والمظلوم منها ولم يقتص للمظلوم من ظالمه كما هو مشاهد بما تقتضيه العدالة الواجبة للحكم العدل سبحانه بأعلى وجوه العدالة.

(س) وما هى أعلى صور العدالة الواجبة للحكم العدل سبحانه وكيف تتحقق عمليا ؟

(ج) أعلى صور العدالة أن يقتص للمظلوم من ظالمه على الملأ وشهود ظلمه يشهدون القصاص.

وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أنه قد أعد نشأة خاصة تتحقق فيها هذه الصورة العليا من العدالة الربانية على رؤوس الأشهاد.

قال تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ

اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:١٩:٢٠)، فقوله تعالى يعيده هى للنشأة الآخرة وهى البعث.

وكان كفار قريش لا يعرفون البعث ويظنون أن حياة الإنسان تنتهى بموته.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيى الله هذا بعد ما أرم [1] ؟ فقال رسول ﷺ: نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم، ونزل قوله تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾. (يس: ٧٧ - ٨١).

وقال تعالى ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الإسراء: ٥٠، ٥١).

(س) هل البعث بالأرواح أم بالأجساد أم بالجسد والروح معا؟

(ج) لا خلاف أن العقل يسلم بأن القادر الأعلى سبحانه يدخل فى ضمن قدرته بعث الإنسان بجسده وروحه من عناصر معينة تبقى ولا تقضى عليها المؤثرات فمن تمام العدل مباشرة الجسد المباشر للعمل جزاءه؛ وكل ما فى الأمر أن الخيال الذى لا يحكم العلم ربما يستبعد حياة أخرى لهذه الأجساد كما أنكر الكفار، ولكن من عرف سعة القدرة وأن لله خرق العوائد المعروفة حيث قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨). فإنه يوقن أن رب العادات هو خارق العادات وأن الحق سبحانه لا يعجزه شىء وهو على كل شىء قدير.

---

(١) أرم؛ أى: بلى.

(س) وهل جاء فى الشرع مثال للبعث؟

(ج) نعم قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِى هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩: ٢٦٠).

وعنه ﷺ قال: قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله؛ إذا مت فحرقوه ثم ذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدًا من العالمين. فلما مات الرجل فعلوا به ما أمرهم، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا. قال: من خشيتك يارب وأنت أعلم، فغفر الله تعالى له. رواه البخارى ومسلم ومالك والنسائى.

الإيمان بالجنة والنار - والقدر

تكلمنا عن أحد أصول الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر دار الجزاء والنشأة الآخرة التى أعدها الله تبارك وتعالى للقصاص فى أعلى صور العدالة، وذلك ببعث الخلق لإقامة العدل بينهم.

(س) فنرجو أن توضحوا لنا مصير العباد فى هذه النشأة الآخرة بعد بعثهم ومحاسبتهم ؟

(ج) مما يجب الإيمان به الإيمان بالجنة والنار.

وينقسم العباد إلى قسمين: أهل السعادة وهم فى الجنة، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل وماتوا على توبة.

وعصاة، وهم فريقان: كفار وهم مخلدون فى النار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء: ١٦٨، ١٦٩).

والفريق الآخر: عصاة المؤمنين الذين لم يقعوا فى كفر بالله أو الرسل أو الكتب المنزلة أو ما يختص بالإيمان وهؤلاء أمرهم مفوض إلى الله عز وجل فإن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم. ومثل ذلك - ولله المثل الأعلى - عفو ولى الأمر عن أحد الجناة الذين يستحقون العقاب فيما يجوز له شرعا العفو فيه. والمعذبون من هذا الفريق لا يخلدون فى النار لما صح عنه ﷺ أن عصاة الموحدين يخرجون من النار ثم يطهرون ويدخلون الجنة.

فلا يبقى بعد ذلك فى النار إلا من كتب عليه الخلود فيها، قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧).

وقال تعالى فى وصف الجنة: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

وقال تعالى فى وصف النار: ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٨٦)

(س) هل بقى من أصول الإيمان شىء لم تحدثنا عنه ؟

(ج) من أصول الإيمان أيضا الإيمان بالقدر. فإن الله تبارك وتعالى سبق فى علمه وإرادته الأزلية أن يخلق الخلق على قسمين: قسم منهم مطبوع على ما أوجده الله له، ليس له فيه اختيار.

فالملائكة الأطهار مطبوعون على النور والطاعة، فهم غير مختارين.

ومالا عقل له ليس له اختيار فى أعماله.

والقسم الآخر: أراد الله عز وجل أن يكون مختاراً غير مجبور وهم الثقلان الجن والإنس ومعنى الإيمان بالقدر خيره وشره: أن الله عز وجل علم ما سيفعله عباده المكلفون باختيارهم الذى أودعه الله فيهم.

وقد ظن قوم أن هناك تعارضا بين سبق العلم الإلهى واختيار المكلفين. وليس هناك تعارض. لأن العبد لو كان مجبوراً لما صح أن يكون مكلفا بالفعل والترك. قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

ومن أنكر أن الله عز وجل يعلم أفعال مخلوقاته قبل وقوعها فليس بمسلم. فقد أحاط الله بكل شىء علما، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩)، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢)، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم: ٤١)

(فى كتاب) أى كتاب؛ فيه أنهم سيفعلون ذلك باختيارهم غير مقهورين ولا مجبورين.

وقد قيل لعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أنه ظهر ناس يقرءون القرآن ويتقفرون للعلم وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف: أى مستأنف لم يسبق به العلم الإلهى، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وهم براء منى، والذى يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قَبِلَ الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم ذكر ما حدثه به أبوه عمر بن الخطاب وفيه أن جبريل سأل

النبى ﷺ عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. رواه مسلم فى الصحيح.

وروى أبو خزامة عن أبيه: قلت يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقى بها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هى من قدر الله. رواه الترمذى.

(الأوامر والنواهى التى فرضها الله عز وجل لتحقيق الكمال العلمى والعملى للإنسان)

العبادات - الطهارة والحكمة فيها

(س) ما الصلة بين الإيمان وبين الأوامر والنواهى التى شرعها الله عز وجل لعباده فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله سيدنا محمد ﷺ ؟

(ج) إن الوحى الإلهى يشمل: الكمال العلمى والكمال العملى. ويثبت هذين الكمالين فى قرارة نفس المؤمن. فإن الوجود الذى يوقن به كل إنسان فى نفسه وجود متصف بالاحتياج، ووجود متصف بالغنى. ويلزم فى العقل أن الوجود المفتقر يستند إلى الغنى الذى يقيمه ويحفظ عليه وجوده. فمن عرف الوجود المفتقر وجهل الوجود الغنى الذى هو مصدر وجود ذلك المفتقر فما عرف شيئاً. فمن عرف الكون وجهل خالق الكون فهو فى عمه وضلال وقد حجب عن المعرفة الحقيقية.

فالكمال الإنسانى من الناحية العلمية أن يعرف الإنسان ربه رب كل شىء أولاً، فإن هذا هو الأصل الذى يترتب عليه نجاة المرء فى آخرته ودنياه. ولابد من الموت والورود على الله عز وجل. قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ

يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ (الانشقاق: ٦-١٢).

والكمال العملى للإنسان أن يتحلى بمكارم الأخلاق. فإن الله عز وجل أنعم عليه بالميزان الذى يزن به الخير والشر وهو العقل. مع ما أودع فى فطرته من النفور من الأمور الضارة والميل إلى ما يستحسنه. فكما أنه يكره أن يضره أحد ويعتدى عليه فى نفسه أو ماله أو عرضه، فهو مطالب بأن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به. فهو يكره الضرر فلا يضر أحداً، ويحب أن يحسن الناس معاملته فيجب عليه أن يحسن معاملة الناس.

(س) الأوامر والنواهي التي شرعها الله عز وجل تشمل العبادات والمعاملات، فنرجو أن توضحوا لنا هذه العبادات وكيف يتحقق الإنسان عند القيام بها بالكمال الإنساني؛ ونرجو أن نبدأ بالصلاة ؟

(ج) كلما كان المؤمن وثيق الصلة بربه، كلما كان أجدر أن يتصف بمحاسن الأخلاق التى يأمر بها ربه تبارك وتعالى.

والقيام بالعبادات من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، والتقيد بما أمر الله عز وجل فى المعاملات المالية والأخلاقية وتنظيم الأسرة ورعاية البيت، وتكوين نشأة طاهرة متحلية بالمكارم، تمثل الطهارة والعزة والكرامة، وحماية الحق والخير ودفع الظلم والعدوان بالحق لا بالباطل وتمثل العدل والإحسان. كل ذلك يثبت الصلة بين العبد وبين ربه. ويزرع فى النفس الحياء من الملك الأعلى سبحانه وتعالى، ويثبت رعاية الجزاء منه على مخالفة أمره فى هذه الدنيا وفى الحياة الآخرة فيستقيم على صراط الكمال السوى.

وقد قال ﷺ: «بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا».

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهاتان الشهادتان جمعتا عقائد الإيمان.

إقام الصلاة لتوثيق الصلة بين العبد وبين ربه، وكلما كان العبد غافلا عن رعاية عظمة الجلال الإلهى، كان شيطان الغواية ونزوات الشهوات، وحب الباطل مستوليا عليه.

وقد أمرنا فى الصلاة بأمور أولها الطهارة، وليس المراد مجرد الطهارة الظاهرة، فإن الطهارة لا تتم إلا إذا كانت ظاهرة وباطنة. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة: ٦).

وهذه الأعضاء هى المعرضة للتلوث من أعراض الجو المحيط بالإنسان.

ولهذه الطهارة سر يوجب تطهير القلب من كل سوء.

فقوله تعالى: ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ تشمل الفم والأنف والعين. فيجب على المؤمن أن يطهر فمه من المحرمات كلها فيتوب من أكل الحرام، وشرب الحرام، والنطق بالحرام، والنظر للحرام والشم الحرام. وفى غسل اليدين يتوب من أن يمد يده إلى حرام. وفى مسح الرأس يتوب من أن يعزم على حرام أو يفكر فى الحرام. والأذنين من الرأس يتوب من أن يسمع بهما حراما. وفى غسل الرجلين يتوب من أن يسعى إلى حرام. وعندما طهر نفسه فى الخلاء تاب من أن يكشف عورته على حرام.

فهذا غسل قلبه وروحه من دنس الظلمات والسيئات الباطنية. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢). فقدم التوابين للدلالة على أن ماء التوبة الصادقة النصوح هو الذى يطهر الباطن، كما أن الماء الظاهر هو الذى يتطهر به الظاهر المادى.

فهذا العبد الذى طهر ظاهره وباطنه إذا قام بين يدى ربه فى الصلاة أقبل على الله بكليته فأقبل الله عليه. وقد قال ﷺ: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة.

الصلاة

الأوقات الخمس - استقبال القبلة - الحكمة فيها

(س) نرجو أن تبينوا لنا الحكمة فى أن الصلاة مفرقة على أوقات خمس ؟

(ج) فرق بين عبد وثيق الصلة بربه، وبين عبد لا يبالى بانقطاع الصلة بينه وبين ربه.

ففرضت الصلوات الخمس فى اليوم والليلة. وأول هذه الصلوات عند القيام من النوم وبداية خوض غمار الحياة اليومية. وفى هذه الصلاة صلاة الصبح يتصل العبد بحضرة مولاه وصاحب النعمة عليه حيث يشكره إذ أحياه بعد ما أماته الموته الصغرى ويعتذر إليه من أعماله ويسأله الهدى والتوفيق والإعانه ويعاهده أن لا يجترح شيئاً لا يرضاه.

وفى صلاة الظهر نهض من غمار الاشتغال بالحياة يُذكِّر نفسه بربه، ويهرع إليه متضرعاً منيباً يوثق الصلة بينه وبين ربه ويستغفره ويستعينه على الهدى والتوفيق إلى الحق والخير وفى آخر النهار فى صلاة العصر كذلك، وقد تهيأ للعودة إلى داره إن كان فى شغل.

وعند إقبال الليل فى صلاة المغرب حيث مضى النهار وعاد إلى داره من عمله وفى صلاة العشاء حيث يرجع إلى ربه قبل أن ينام ولا يعلم إن كان يأتيه أجله فى نومه أو يعيده الله إلى الحياة وكان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه يقول : «باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه، إن أمسكت نفسى فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥) الصلاة التى أقيمت مستوفية الشروط كاملة الخشوع لله عز وجل. وقد قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥) وكان ﷺ إذا حزبه أمر هرع إلى الصلاة.

والمؤمن يصبغ حياته كلها بالاتصال بربه فى جميع أحايينه ومختلف أحواله. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

(س) عرفنا أن من شروط الصلاة الطهارة وتشمل الغسل والوضوء، فهل هناك شروط أخرى لها وما الحكمة فيها ؟

(ج) من شروط الصلاة التى لا تصح إلا بها: استقبال القبلة - بيت الله الحرام - وهو أول بيت وضع فى الأرض لعبادة الله وتوحيده. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦).

ويفهم من فرض استقبال البيت الحرام للمسلمين فى صلاتهم فى أقطار الأرض، أنه كما اتجهت القلوب إلى قبلة واحدة، تتوحد وجهة هذه القلوب إلى الالتجاء الكلى إلى رب هذا البيت. فلا نعبد إلا إياه ولا نشكر غيره، ولا نسجد لسواه. وأن يتعاون العالم الإسلامى على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

وقال ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» فكما أن أعضاء الجسد كل له وظيفة لفائدة الجسد كله، فالمؤمن عضو نافع فى جسد الأمة الإسلامية يعمل لمجموع الأمة الإسلامية، وخلاصة عمل هذه الأمة التى اصطفاها الله وجعلها خير أمة أخرجت للناس، الإيمان بالخالق الكامل الكمال الأعلى ينبوع الحق والخير، وإفراده بالشكر، والعمل الصالح فى مرضاة رب الكمال بالتحقق بكمال الحق والخير وإشاعة الحق والخير والعدل ومحاسن الأخلاق بين العالمين.

فتوحيد الوجهة فى العبادة يوجب توحيد القلوب فى وجهتها النافعة للفرد وللإنسانية بأجمعها.

الصلاة - الطهارة - والحكمة فيهما

تكلمنا عن شرط الطهارة للصلاة، وكيف أن الطهارة تكون سبباً فى التوبة. وعن الحكمة فى أن الصلاة مفرقة على خمس أوقات، وعن شرط استقبال القبلة والحكمة فيه.

(س) فنرجو أن نعرف الحكمة فى اشتراط الطهارة للصلاة واشتراط الغسل من الجنابة وعن التيمم عند فقد الماء.

(ج) كما أن الداخل على عظيم من أولياء الأمور يهيئ نفسه لمقابلته. وما ينبغى أن يتأدب به عند لقائه، وإحسان الحديث معه. فأولى بذلك من يدخل حضرة الخالق سبحانه مالك كل شىء ومن بيده نواصى الخلق، من يعدهم الناس عظماء هم عبيده الفقراء إليه. فلا عظيم إلا هو فى ظاهر الأمر وباطنه.

فيهيئ العبد نفسه بالطهارة الظاهرة والباطنة فى بدنه وثوبه ومكانه، ومن الحدثين الأكبر والأصغر.

وذلك أن الإنسان جسد وروح. وحقيقة الإنسان هى الروح. وأما الجسد فهو الرداء الذى ترتديه الروح أو البيت الذى يسكنه الإنسان، أو المطية التى يقطع بها الإنسان مرحلة هذه الحياة الدنيا.

وللجسد غذاء وللروح غذاء.

فحاجة الجسد معروفة من مطعم ومشرب وملبس وقضاء شهوة فيشترك بذلك مع الحيوانات البهيمية.

وأما غذاء الروح فليس بالغذاء المادى، فإن الروح لا تأكل ولا تشرب ولا تتلوث بالشهوات الجسدية. وإنما غذاؤها معرفة الله ومحبته وإجلاله ورعاية عظمته. فغذاؤها هو غذاء الملائكة التسبيح والتقديس. وهذا هو كمالها، كمال مرتبتها.

فمن الناس من غلبت روحانيته على ماديته فكان كالملك فى صورة إنسان، ومنهم من غلبت شهوات جسده على روحانيته، وهذا قد التحق بالبهائم، قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الفرقان: ٤٤).

وقد نسى معظم الناس هذه الحقيقة. فنسى الواحد منهم حقيقته الروحانية، وحسب أنه هو هذا الجسد الحيوانى فحسب فانحصر همه فى حياته فيما انحصر هم البهائم فيه، وهو يسعى لمطالب الجسد غافلا عن مطالبه كروح ملكوتية؛ إذا غلبت حقيقته الروحية على المادة انخرقت لها العوائد، وأظهر الله عليها العجائب. فيصبح أحدهم لا يفكر إلا فى هذا الحيوان ويظل يسعى لمطالب هذا الحيوان طول يومه، ويبيت يدير فى مطالب هذا الحيوان ويهجس فى نومه بمطالب هذا الحيوان. فأراد الله عز وجل أن يذكر الإنسان بحقيقته ففرض عليه أن يتطهر من كل آثار الحيوانية.

والإنسان عند مخالطته لشهوته إنما هو صورة كاملة للحيوان الأعجمى يشترك معه فيها.

وهذا أمر خاص بالجسد وليس للروح التى هى حقيقة الإنسان فيه مجال، ولذلك فرض الله عز وجل الغسل لأنه الصورة الكاملة فى شبه المادية البهيمية.

وفرض الوضوء من آثار الطعام والشراب لأنه من آثار الحيوانية المادية كذلك ولكنه دون الصورة الأولى.

وقد ذكرنا من قبل أن الطهارة بالماء المطلق لظاهر الجسد مع استحضار النية فى تطهير الباطن بالماء المعنوى ماء التوبة النصوح الكاملة من مخالفة الحق سبحانه فإن الله عز وجل لا يأمر بالفحشاء ولا المنكر، وإنما يأمر بالعدل والإحسان والحق والخير.

وأما التيمم فهو عند فقد الماء أوحكم فقد الماء كمن لايقدر على استعماله، حتى يستحضر الطهارة المادية والمعنوية فى ذهنه.

ولابد مع هذا من تهيئة خاصة لروح الإنسان غير الناحية المادية وهى الورود على الله عز وجل عند الموت وفى القبر وفى عرصات القيامة وعند الحساب. قال ﷺ : «يوشك أن يقف أحدكم ما بينه وبين ربه حاجب ولا ترجمان يحجبه فيلتفت يمينه فلا يجد إلا النار، ويلتفت شماله فلا يجد إلا النار، وينظر أمامه فلا يجد إلا النار، وينظر خلفه فلا يجد إلا النار فاتقوا النار» - أى احفظوا أنفسكم من عقاب الله وغضبه -. وقاه؛ أى: حفظه وجعل ستراً وقاية بينه وبين ما يخشاه.

فرائض الوضوء - الغسل - التيمم

تكلمنا عن الحكمة فى اشتراط الطهارة للصلاة والغسل من الجنابة وعن التيمم. وأن ذلك ليتطهر الإنسان من آثار الحيوانية ويتذكر حقيقته الروحية.

(س) فما فرائض الوضوء التى لا يصح الوضوء إلا بها ؟

(ج) قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ (المائدة ٦).

ذهب بعض الأئمة إلى أن فرائض الوضوء هى المذكورة فى الآية الكريمة: غسل الوجه، وغسل اليدين إلى المرفقين - ومسح الرأس - وغسل الرجلين إلى الكعبين.

ومن الأئمة من جعل النية فرضا فى غسل هذه الأعضاء بنية العبادة لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات». وللقصد المستكن فى قوله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾. إلخ الآية.

ومن الأئمة من جعل الترتيب فى غسل هذه الأعضاء فرضا كما وردت به الآية الكريمة ولكون الرسول ﷺ لم يتوضأ إلا مع هذا الترتيب وكذلك أصحابه.

وزاد الإمام مالك التدليك فى الغسل لأن العرف المعروف عند علماء العربية. والعرف المعروف بين علماء المدينة أن الغسل لا يكون إلا مع

التدليك وما عداه فهو نضح. وزاد أيضا الموالاة، وهى أن لا يفصل بين تطهير الأعضاء بوقت يجف فيه العضو السابق على العضو الذى يليه. لأن العمل المأثور عن النبى ﷺ كان على ذلك.

ومن لم يجعل ما زاد عما ورد فى ظاهر الآية فرضا اعتبره سنة يثاب فاعلها ويتأكد فى حقه فعلها وإن لم يقل ببطلان الوضوء مع تركها.

وفى صحيح البخارى - عن عطاء بن يزيد عن عمران مولى عثمان ابن عفان أنه رأى عثمان دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه ففسلهما ثلاث مرات. ثم أدخل يمينه فى الوضوء، ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه إلى المرفقين ثلاثا، ثم مسح برأسه ثم غسل كل رجل ثلاثا، ثم قال: رأيت النبى ﷺ يتوضأ نحو وضوئى هذا وقال: من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لايحدِّثُ فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه. رواه البخارى ج ٣٧/١ باب المضمضة فى الوضوء.

(س) وما فرائض الغسل ؟

(ج) أما الغسل فذهب بعض الأئمة إلى أن الفرض فيه تعميم الجسد بالماء. وزاد بعض الأئمة النية كما تقدم فى الوضوء. وزاد الإمام مالك التدليك وتخليل الشعر لأنه يرى أن مجرد سيلان الماء على الجسد لا يعتبر غسلا إلا مع التدليك جريا على العرف المعروف عند علماء العربية وخصوصا أهل المدينة. وكذلك الموالاة فلا يصح عنده أن يغسل بعض الجسد فى مكان ثم ينتقل إلى مكانٍ آخر فيغسل البعض الآخر، أو يفرق بين غسل بعض الجسد والبعض الآخر حتى يجف ما غسله أولا. وفى الغسل أيضا اعتبر من يقول أن الفرض مجرد تعميم الجسد بالماء - جعل ما عداه سنة - والأفضل للإنسان أن يعمل بجميع ما ذكره الأئمة فتكون طهارته كاملة على جميع المذاهب.

(س) وهل بعد الغسل من الجنابة يشترط الوضوء للصلاة أم يصلى بهذا الغسل ؟

(ج) الوضوء يندرج فى هذا الغسل مالم ينتقض وضوءه بعده فيجب عليه أن يتوضأ.

(س) وما هو التيمم وما كيفيته ؟

(ج) التيمم طهارة تنوب عن الوضوء والغسل عند الضرورة وتكون بصعيد مطهر، والصعيد كل ما صعد على وجه الأرض ويشمل الحجر غير المحروق.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ (المائدة: ٦).

وقال ﷺ: «جعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا».

وكيفيته أن يضرب بيديه الصعيد ويمسح وجهه ويديه بنية العبادة وموضعها القلب، ويسن أن يضرب على الصعيد ضربة ثانية ويمسح يديه إلى المرفقين.

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال: إنى أجنبت فلم أصب الماء. فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنا كنا فى سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت «أى تمرغت فى الأرض» فصليت فذكرت للنبى ﷺ فقال النبى ﷺ: «إنما كان يكفيك هكذا فضرب النبى بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه». رواه البخارى.

والغرض من هذه الطهارة أن يحرص المؤمن على أصل الطهارة - الغسل والوضوء - والمحافظة على الصلاة - وأن المقصود الأعظم هو الطهارة المعنوية القلبية والالتجاء إلى الله والخشوع فى حضرته.

متى وكيف فرضت الصلوات

تكلمنا عن حكمة اشتراط الطهارة فى الصلاة والغسل من الجنابة وعن التيمم، وبينا فرائض الوضوء والغسل وكيفية التيمم.

(س) فنرجو أن نعرف متى فرضت الصلاة ؟

(ج) فرضت الصلوات الخمس فى ليلة الإسراء. وهى أول ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ.

فى هذه الليلة التى أسرى فيها برسول الله ﷺ وعرج به إلى الملأ الأعلى. أراد الله عز وجل أن ينعم على مختاره ومصطفاه من خلقه، النعمة العظمى التى اختصه بها، أن يجمع له جميع مراتب العلم: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

فعلم اليقين: معرفة الحقائق معرفة قطعية وإن لم يرها. ومثل ذلك كمثل معرفتنا بوجود مكة قبل أن نفد إليها.

وعين اليقين: هو معرفة الحقائق وشهودها. كمن وفد إلى مكة ورآها.

وحق اليقين: مباشرة الحقائق وذوقها فعلا. فعلمنا بأن الله جعل النار محرقة هو علم اليقين. فإذا رأينا من أحرقت النار جسمه فهذا عين اليقين. ومن أحرقت النار يده فهذا هو حق اليقين.

فلما عرج برسول الله ﷺ إلى الملأ الأعلى ورآه وعاش فيه وتحقق بأنواره وأسراره ومعارفه كما يتحقق به أهل الملأ الأعلى فهذا هو حق اليقين. وأعلى من ذلك وأعظم، شهوده للحضرة الإلهية من غير كيف ولا مثل.

وقد اجتمع بأرواح الأنبياء فى مراتبها فى الملأ الأعلى. واجتاز نطاق الكون.

فكان فى الحضرة الأحدية الخاصة التى لا مطمع فيها لملك مقرب ولا نبى مرسل.

ففى هذه الحضرة الخاصة فرضت عليه الصلوات الخمس.

فكان لأمته ﷺ نصيب من هذه الحضرة من وراء حجاب.

(س) وكيف كان فرض الصلاة فى تلك الليلة ؟

(ج) أخبرنا الرسول الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ كيف فرضت الصلاة.

ففى صحيح البخارى عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا. فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال جبريل. قال: هل معك أحد ؟ قال نعم معى محمد ﷺ. فقال: أرسل إليه؟ قال نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة [1]، إذا نظر قِبلَ يمينه ضحك وإذا نظر قِبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسَمُ [2] بنيه. فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار. فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بى إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها: مثل ما قال الأول ففتح، قال أنس: فذكر أنه وجد فى السموات: آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم صلوات الله عليهم - ولم يثبت كيف منازلهم؛ غير أنه ذكر أنه

(١) الأسودة: الأشخاص من كل شىء.

(٢) جمع نسمة؛ وهى: الروح .

وجد آدم فى السماء الدنيا، وإبراهيم فى السماء السادسة. قال أنس: فلما مر جبريل بالنبى ﷺ بإدريس، قال: مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح. فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى، فقال: مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح، قلت من هذا؟ قال هذا موسى، ثم مررت بعيسى، قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح. قلت من هذا؟ قال: هذا عيسى. ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح. قلت من هذا؟ قال: هذا إبراهيم عليه السلام.

قال ابن شهاب، فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان قال النبى ﷺ: ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام. قال ابن حزم وأنس بن مالك، قال النبى ﷺ: ففرض الله على أمتى خمسين صلاة. فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت فرض خمسين صلاة. قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها، فقال: راجع ربك فإن أمتك لاتطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هى خمس وهى خمسون، لا يبدل القول لدى. فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك. فقلت: استحييت من ربى. ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ماهى ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك. رواه البخارى فى كتاب الصلاة.

الإسراء بالروح والجسد معا - رؤية الله عز وجل

تكلمنا عن فرض الصلاة وأنها كانت فى ليلة الإسراء عندما عرج بالنبى ﷺ إلى الملأ الأعلى ليتم الله نعمته عليه بأن جمع له مراتب العلم الثلاثة.

(س) فنرجوا أن نعرف هل كان إسراؤه ﷺ بالجسد والروح معا أم بالروح فقط؟

(ج) ورد فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن قريشًا سألت النبى ﷺ لما أخبرهم بأنه أسرى به إلى بيت المقدس، أن يصفه، واستبعدوا ذلك. قال رسول الله ﷺ: لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر (حجر إسماعيل بالكعبة) فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته (٦/حـ٥).

فلو كان الإسراء بالروح دون الجسد لما كان هناك من داع لتكذيبهم له ﷺ، ولكن أراد الله عز وجل وهو القادر على كل شىء أن يكرم رسوله ﷺ، فأسرى به إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السموات العلا. وعلم الله عز وجل أن أعداءه سيكذبونه. فإذا أقيمت الحجة عليهم بأن الله عز وجل خرق له العادة فى الانتقال من المسجد الحرام إلى بيت المقدس فى الزمن القليل فصعوده إلى الملأ الأعلى كذلك وكل ذلك هين على من هو على كل شىء قدير.

وقد أقام الحجة ﷺ ببيان رحلته وأنه مر على إبلهم فى موضع كذا، وسألوه عن زمن وصول قافلتهم التى تحمل تجارتهم من الشام فأخبرهم أنه مر عليهم فى الموضع الفلانى وأنهم يصلون فى الوقت الفلانى وحقق الله ذلك. فمن المكذبين من صدقه بعد ذلك، وحيث إن الرسول ﷺ أخبر بهذا فخبره حق.

وقد قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ (الإسراء: ١)، وحيث إن السنة تفسر القرآن، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤). فلا يصح فى العقل ولا فى الشرع أن يتبع المؤمن الآراء التى لا تستند إلى دليل عقلى أو شرعى، وإنما تحكم باستبعاد الفكر العادى وتهمل ماجاء عن صاحب الإسراء نفسه فإنه أعلم بكيفية الإسراء وهو الذى عهد الله إليه ببيان كتابه وتوضيحه لأمته. والنبوة كلها وآياتها ومعجزات الأنبياء لا تجرى على ما عهد فى العادة، وليس للمؤمن أن يستحيى من ذكر المعجزات لرسول الله ﷺ، وقد ملئت الديانات الأخرى بالمعجزات وآمن بها أهل الكتاب، وصرح بها كتاب الله عز وجل للنبيين. فكيف لا يكون سيد النبيين ﷺ مؤيداً بالمعجزات الخارقة للعادات. لاشك أن من يستبعد المعجزات على النبى ﷺ لا حجة له، ولا أبأس من رجل يثبث للأنبياء السابقين المعجزات ويجرد سيد الخلق عنها ﷺ.

(س) لماذا اختص سيدنا موسى عليه السلام بأن يكون السبب فى مراجعة النبى ﷺ لربه فى عدد الصلوات فى ليلة الإسراء ؟

(ج) كان موسى عليه السلام صاحب تشريع، وكتاب منزل كالقرآن، وكان صاحب شريعة واسعة. وكان الأنبياء كإبراهيم عليه السلام، تنزل عليهم الصحف والتشريع فى نطاق ضيق.

وقد عالج سيدنا موسى بنى إسرائيل وكلفوا بأقل مما كلفت به الأمة المحمدية فى الصلوات، فلم يقوموا بها، كما بين فى الحديث، فأشفق على أمة رسول الله ﷺ وطلب التخفيف عنهم.

وذكر العلماء أن موسى عليه السلام، طلب رؤية الله عز وجل فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِى ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، فمنع منها.

وقد رأى النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء رؤية غير الرؤية الحسية المعلومة من غير كيف، ولا مثل، ولا جهة، ولا تحديد. كما يراه المؤمنون فى الدار الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢).

ولا شك أن الغلبة للروح فى الدار الآخرة حيث تنحل عن البشرية القيود المادية فيكون حكم الجسد كحكم الروح، والرسول ﷺ فى سموه إلى الملأ الأعلى صار جسده روحانيا نورانيا كالروح وسما وارتقى فجعل الله عز وجل فيه الاستعداد لرؤيته سبحانه كحال الدار الأخروية فلما رجع إلى موسى عليه السلام ومر به وقد صحبه من أنوار الشهود ما لا يكيف، فأراد موسى عليه السلام أن يستمتع بشهود من رأى الحق تبارك وتعالى، كمثل ما قال المحب: لعلى أراكم أو أرى من يراكم. فيزداد نورًا وحبورًا بشهود من شاهد الحق تبارك وتعالى من غير تشبيه ولا تكييف.

رؤية النبى ﷺ لربه تبارك وتعالى

تكلمتم عن فرض الصلوات فى ليلة الإسراء، وأنها خففت إلى خمس صلوات لأن سيدنا موسى عليه السلام كان سببا فى مراجعة النبى ﷺ لربه فيها. وأوضحتم أن ذلك لأن سيدنا موسى كان صاحب شريعة واسعة، وأنه عالج بنى إسرائيل على أقل من ذلك فلم يقوموا به. كما أنه أراد أن يستمتع بمشاهدة أنوار رسول الله ﷺ بعد رؤيته لربه حيث فاتته الرؤية.

(س) فمن الذى أثبت رؤية النبى ﷺ لربه تبارك وتعالى فى تلك الليلة ؟

(ج) أثبت رؤية النبى ﷺ لربه تبارك وتعالى حبر الأمة سيدنا عبد الله ابن العباس رضى الله عنهما. كما روى ذلك الحاكم فى المستدرك بسند صحيح ص ٦٥ ج ١.

وما ذكر عن السيدة عائشة رضى الله عنها من أنها قالت: والله ما فارق جسده جسدى ليلة الإسراء. فهو قول مكذوب على السيدة عائشة رضى الله عنها، لأنه ﷺ عقد عليها وكانت سن ست سنوات ولم يدخل بها إلا بعد الهجرة بسنة. والإسراء كان قبل الهجرة. فلم تكن فى بيته ولم يكن دخل بها. وكانت طفلة إذ ذاك.

وممن أثبت الرؤية الإمام أحمد بن حنبل وجمهور من العلماء المحققين.

ولم تنف السيدة عائشة الرؤية بخبر قاطع عن النبى ﷺ. وكل ما ورد فى ذلك اجتهاد وفهم لا ينفى رؤيته ﷺ والمثبت مقدم على النافى لزيادة العلم عنده.

ومثل ذلك أن النبى ﷺ دخل الكعبة وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة ثم أغلق الباب، فلبثوا فيه ساعة ثم خرجوا، فسئل أسامة هل صلى رسول الله ﷺ فقال: لا. قال ابن عمر فبدرت فسألت بلالا. فقال صلى فيه فقلت فى أى ؟ قال: بين الأسطوانتين. قال ابن عمر فذهب على أن أسأله كم صلى.

وعن نافع أن عبد الله بن عمر كان إذا دخل الكعبة مشى قبل وجهه حين يدخل وجعل الباب قِبلَ ظهره فمشى حتى يكون بينه وبين الجدار الذى قِبلَ وجهه من ثلاثة أذرع؛ صلى يتوخى المكان الذى أخبره به بلال أن النبى ﷺ صلى فيه، قال: وليس على أحدنا بأس إن صلى فى أى نواحى البيت شاء ١٣٤/ ج ١ البخارى.

فأسامة رضى الله تعالى عنه كان مشغولا فلم ير النبى ﷺ وهو يصلى ورآه بلال. وكلاهما صادق فأسامة لم ير، وبلال رأى رضى الله عنهما.

(س) وهل لم يكن سيدنا عيسى عليه السلام صاحب تشريع كسيدنا موسى وسيدنا داود عليهم السلام ؟

(ج) كان أنبياء بنى إسرائيل يسيرون على أحكام التوراة، وكانوا يحكمون بها، كما قال تعالى ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ (المائدة: ٤٤)، إلا فى مواضع خاصة كما قال تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (آل عمران: ٥٠)، فكان الزبور لسيدنا داود، وكان الإنجيل لسيدنا عيسى متممين لأحكام التوراة.

ولذلك ورد عن سيدنا عيسى أنه قال: ما جئت لأنقض الناموس ولكن جئت لأكمل الناموس. والمراد بذلك التوراة.

أما سيدنا محمد ﷺ فقد جاء بالشرع المستقل الكامل الذى تندرج فيه جميع الشرائع السابقة أو نسخها. فإنها كانت شرائع مؤقتة تصلح لأقوام خاصة فى أزمان خاصة. ولذلك ضاعت تلك الكتب المنزلة بحوادث الزمن. وما يوجد الآن منها إنما هو تواريخ ألفها قوم معروفون وقوم غير معروفين كما يشهد بذلك تاريخ هذه الكتب الذى دونه أهلوها، وهى غير الكتب المنزلة التى خرجت من بين شفتى الأنبياء سيدنا داود وسيدنا عيسى وسيدنا موسى عليهم السلام. وليس للكتب الحالية سند تاريخى متصل بمؤلفى هذه الكتب الموضوعة كسيرة لأولئك الأنبياء عليهم السلام على أصول الروايات العلمية التى يوثق بها.

كيفية أداء الصلاة

تكلمنا عن الصلاة وأنها فرضت ليلة الإسراء كما سبق أن تكلمنا عن اشتراط الطهارة للصلاة.

(س) نرجو أن تبينوا لنا كيفية أداء الصلاة ؟

(ج) أخرج البخارى فى صحيحه باب أمر النبى ﷺ؛ الذى لا يتم ركوعه بالإعادة. عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبى ﷺ، فرد النبى ﷺ: عليه السلام. وقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل». فصلى، ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل». ثلاثا. فقال: والذى بعثك بالحق فما أحسن غيره فعلمنى. قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن. ثم اركع حتى تطمئن راكعاً. ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً. ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها» ٢٠٠/ج ١ البخارى.

وأخرج البخارى أيضا، عن محمد بن عمرو بن عطاء، أنه كان جالسا مع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فذكرنا صلاة النبى ﷺ فقال أبو حميد الساعدى: أنا كنت أحفظكم لصلاة رسول الله ﷺ. رأيته إذا كبر جعل يديه حذاء منكبيه. وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه، ثم هصر ظهره «أى جعله مستويا» فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقار مكانه. فإذا سجد وضع يديه غيرمفترش ولا قابضهما، واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة. فإذا جلس فى الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى. وإذا جلس فى الركعة الآخرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته. ٢١٠ / ج١.

وأخرج البخارى، عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» ١٩٢/ج ١.

وبهذا الحديث فسر جمهور الأئمة ما جاء فى حديث أبى هريرة: «ثم أقرأ ما تيسر معك من القرآن» أن ما يتيسر مع مثل ذلك الرجل هو الفاتحة.

وعن زيد بن وهب قال: رأى حذيفة رجلا لا يتم الركوع والسجود، قال: ما صليت، ولو مت مت على غير الفطرة التى فطر الله محمدًا ﷺ عليها. ٢٠٠/ ج ١.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: الجبهة - وأشار بيده على أنفه -، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين. ولا نكفت الثياب والشعر». ويدل هذا الحديث على أن السجود على الجبهة والأنف.

وأخرج البخارى، عن أم سلمة، قالت: كان رسول الله ﷺ، إذا سلم قام النساء حين يقضى تسليمه، ومكث يسيرا قبل أن يقوم ٢١٢/ ج ١.

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم. رواه الخمسة إلا النسائى- وقال الترمذى هذا أصح شىء فى هذا الباب وأحسن. نيل الأوطار ١٧٨/ ج ٢.

وأخرج مسلم فى صحيحه. عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قعد للتشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى، واليمنى على اليمنى، وقبض أصابعه كلها، وأشار بالتى تلى الإبهام.

وقد اختار الإمام مالك تشهد عمر رضى الله عنه الذى كان يعلم الناس على المنبر وله حكم المرفوع، ولأنه الذى عليه العمل عند أهل العلم من الصحابة والتابعين بالمدينة وهو: التحيات لله، الزكيات، الطيبات

الصلوات لله، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله تعالى وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

واختار أهل الكوفة - الإمام أبو حنيفة وغيره - تشهد عبد الله بن مسعود. وبه قال الإمام أحمد وأكثر أهل الحديث لثبوت نقله عن رسول الله ﷺ وهو: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

واختار الشافعى تشهد عبد الله بن عباس الذى رواه عن النبى ﷺ قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن. فكان يقول: التحيات المباركات الصلوات لله سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وبعد التشهد نصلى على النبى ﷺ بالصيغة الواردة وهى: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد. ويدعو بعد ذلك بما شاء.

فرائض الصلاة

النية - أول صلاة صلاها جبريل بالنبى ﷺ - تكبيرة الإحرام - قراءة الفاتحة - كيفية الركوع والطمأنينة فيه وفى السجود

. تكلمنا عن كيفية أداء الصلاة، وأن مفتاحها الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم، ومن حيث القراءة والركوع والسجود والاطمئنان فيها وما اختاره الأئمة من صيغ التشهد الواردة.

(س) فنرجو أن توضحوا لنا فرائض الصلاة التى لا يختلف الأئمة فى صحة الصلاة إذا فعلها المصلى ؟

(ج) فرائض الصلاة التى لا تختلف الأئمة فى صحة الصلاة إذا جاء بها المصلى فى صلاته هى: النية - وتكبيرة الإحرام - والقيام لها فى الفرض دون النفل لأنه يصح الإتيان بها من جلوس فى النفل ولو كان المصلى قادراً على القيام - وقراءة الفاتحة - والقيام لها فى صلاة الفرض أيضا دون النفل - والركوع - والرفع منه - والسجود - والرفع منه - والجلوس بين السجدتين - والتشهد الأخير - والجلوس له وللتسليم - والطمأنينة - والاعتدال فى كل من الركوع والسجود والرفع منهما - وترتيب الأركان - ونية اقتداء المأموم بالإمام فى الجماعة - والصلاة على النبى ﷺ فى التشهد الأخير فرض عند الشافعية والحنابلة.

(س) كيف تكون النية للصلاة ؟

(ج) كيفية النية فى الفرض هى أن يقصد المصلى بقلبه أن يؤدى صلاة الفرض التى يصليها من كونها صلاة الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء أو الصبح. وكون الصلاة حاضرة «أى فى وقتها» أو قضاء إذا خرج وقتها. وينوى فى صلاة الجمعة صلاة الجمعة. وذلك لأن المصلى الذى يقف بين

يدى خالقه لا يصح له أن يقدم على مناجاته وهو ساه عن الفعل الذى يريد أن يعبده به. والنية موضعها القلب، فيكفى أن يقصد بقلبه صلاة الوقت المعين فى ذهنه.

(س) ولماذا بدأنا بذكر صلاة الظهر أولا عند عد الأوقات. مع أن أول النهار يبدأ من صلاة الصبح ؟

(ج) بدأنا بصلاة الظهر لأن أول صلاة صلاها أمين الوحى جبريل عليه السلام برسول الله ﷺ بعد أن فرضت الصلاة كانت صلاة الظهر.

(س) ما هى تكبيرة الإحرام وما المقصد منها، ولماذا افتتحت الصلاة بها، وكيف يؤديها المصلى ؟

(ج) تكبيرة الإحرام هى: الله أكبر. قال ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم». رواه أبو داود والترمذى.

وبهذا التكبير انتقل المصلى من دنياه فدخل فى حرمات الصلاة فصار فى حضرة ربه تبارك وتعالى، بحيث يحرم عليه أن يأتى بقول أو عمل ينافى الصلاة. فلا يكلم أحدا من الناس، ولا يأكل ولا يشرب ونحو ذلك، بل يشتغل بالقراءة والتسبيح والركوع والسجود كما أمر به الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ.

ولا تصح تكبيرة الإحرام والدخول فى حرمات الصلاة المفروضة إلا بعد دخول وقتها. فإنه لو كبر للصلاة قبل وقتها لم تجزئ.

كما يجب أن تكون عورته مستورة. وعورة الرجل ما بين السرة والركبة، وعورة المرأة ما عدا وجهها وكفيها.

وأن يكون متطهراً من الحدث الأكبر والأصغر متطهراً من النجاسة فى بدنه وثوبه ومكان صلاته.

كما يشترط أن يؤدى تكبيرة الإحرام فى الفرض وهو قائم إذا كان قادرا على القيام. فإن عجز عن القيام لمرض ونحوه فإن القيام يسقط عنه ويصلى على الحالة التى يقدر عليها.

(س) نرجو أن توضحوا لنا فرض قراءة الفاتحة والركوع والسجود وكيفيتهما؟

(ج) أما قراءة الفاتحة فهى فرض لما ورد فى الصحيحين والسنن عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال: «لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ثلاثا غير تمام». فقيل لأبى هريرة: إنا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها فى نفسك. فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل. فإذا قال: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدنى عبدى. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله: أثنى على عبدى. وإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجدنى عبدى وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل». أخرجه مسلم ومالك فى الموطأ والترمذى والنسائى، ١٩٧ ج ١ جمع الفوائد.

ولم يختلف الأئمة فى أن الركوع والسجود فرضان تبطل الصلاة بترك أحدهما وإن اختلفوا فى القدر الذى تصح الصلاة به من الركوع أو السجود.

وكمال الركوع هو انحناء الصلب حتى يستوى الرأس بالعجز، وبحيث يمكنه مس ركبتيه بيديه، وأن يمد ظهره مستويا. فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا ركع استوى فلو صب على ظهره الماء استقر.

ويكفى عند جمهور العلماء الاطمئنان فى الركوع والسجود بقدر تسبيحة واحدة، وما زاد على ذلك فهو مندوب. ورأى بعض العلماء أنه لا يجزئ الركوع أو السجود إلا إذا اطمأن المصلى فيه بقدر ثلاث تسبيحات، لما أخرجه أبو داود فى سننه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ركع أحدكم فليقل سبحان ربى الأعلى ثلاثا وذلك أدناه. وإذا سجد فليقل سبحان ربى الأعلى ثلاثًا وذلك أدناه». ٣٢٤ ج ١ سنن أبى داود.

وأخرج أبو داود أيضا عن عقبة بن عامر الجهنى قال: لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم)، قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها فى ركوعكم». فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال: «اجعلوها فى سجودكم». وعنه فى رواية أخرى زاد قال: فكان رسول الله ﷺ إذا ركع قال: «سبحان ربى العظيم وبحمده» ثلاثا، وإذا سجد قال: «سبحان ربى الأعلى وبحمده» ثلاثا، ٣١٩ج١ سنن أبى داود.

وأخرج أيضا عن السعدى عن أبيه أوعن عمه قال: رمقتُ النبى ﷺ فى صلاته فكان يتمكن فى ركوعه وسجوده قدر ما يقول: «سبحان الله وبحمده» ثلاثا، ٣٢٤ج١ سنن أبى داود.

كيفية السجود - تكبيرات الانتقال

تكلمنا عن فرائض الصلاة ثم أوضحنا كيفية النية والحكمة فيها، وعن تكبيرة الإحرام والمقصد منها، ولماذا افتتحت الصلاة بها وكيفية أدائها وشروط صحتها، ثم عن قراءة الفاتحة، وكيفية الركوع، ومقدار الطمأنينة فيه وفى السجود.

(س) فنرجو أن توضحوا لنا كيفية السجود وباقى فرائض الصلاة ؟

(ج) أما عن كيفية السجود فقد روى الترمذى عن البراء بن عازب أين كان النبى ﷺ يضع وجهه إذا سجد؟ قال: بين كفيه.

وعنه عن النبى ﷺ: «إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك». رواه مسلم فى الصحيح.

ووصف البراء السجود فوضع يديه واعتمد على ركبتيه، ورفع عجيزته، وقال هكذا كان النبى ﷺ يسجد. رواه أبو داود والنسائى.

وعن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا سجد أمكن أنفه وجبهته من الأرض، ونحى يديه عن جنبيه، ووضع كفيه حَذْوَ منكبيه. أخرجه الترمذى وصححه.

وعنه عن النبى ﷺ فى رواية أخرى: فإذا سجد فرج بين فخذيه، غير حامل بطنه على شىء من فخذيه. رواه البخارى والترمذى وأبى داود.

وعن العباس عن النبى ﷺ: «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه». رواه مسلم وأصحاب السنن ٢١٢ جمع الفوائد ج١، «آراب؛ أى: أعظم».

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف شعراً ولا ثوباً ٢١٣ جمع الفوائد ج١ للستة إلا مالكا.

وعن النعمان بن مرة عن النبى ﷺ قال: «ما ترون الشارب والزانى والسارق ؟ - وذلك قبل أن تنزل الحدود قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحش، وفيهن عقوبة، وأسوأ السرقة الذى يسرق صلاته. قالوا: وكيف يسرق صلاته يا رسول الله؟ قال: لايتم ركوعها ولا سجودها». أخرجه الإمام مالك فى الموطأ.

ويفهم من مجموع هذه الأحاديث أن الأكمل فى السجود، أن يكون على الجبهة والأنف معتمداً على يديه وركبتيه وأصابع قدميه مستقبلا بهم القبلة. ويضع كفيه حَذْوَ منكبيه مجافيا عن جنبيه وغير حامل بطنه على شىء من فخذيه.

ويشترط فى صحة السجود أن يكون على يابس تستقر جبهته عليه كالحصير والبساط بخلاف القطن المندوف الذى لا تستقر جبهته عليه فإنه لا يصح عليه السجود.

ولابد من الطمأنينة والاعتدال فى الركوع والسجود، والرفع منهما والجلوس بين السجدتين وترتيب الأركان كلها ثم التشهد والسلام لقوله ﷺ «صلوا كما رأيتمونى أصلى» رواه البخارى عن مالك بن حويرث.

أما السلام: فعن عامر بن سعد عن أبيه رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى أرى بياض خده. رواه مسلم والنسائى.

ويكفى فى السلام أن يقول: السلام عليكم. فإن قال: السلام عليكم ورحمة الله فهو حسن.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة: الحمد لله رب العالمين. وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يُصَوِّبه ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع من الركوع لم يسجد حتى يستوى قائماً، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوى جالسا. وكان يقول فى كل ركعتين التحية. وكان يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى. وكان ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع. وكان يختم الصلاة بالتسليم. أخرجه مسلم.

«لم يشخص رأسه: أى لم يرفعه. لم يصوبه: أى لم يخفضه. أى يجعل رأسه فى مستوى ظهره إذا ركع. عقبة الشيطان - وضع اليدين على الأرض مع نصب الساقين والفخذين والجلوس على الإليتين.

(س) كم عدد التكبيرات فى الصلاة ؟

(ج) أولا: تكبيرة الإحرام. وقد اتفق الأئمة على فرضيتها وهى حين القيام إلى الصلاة والدخول فيها.

ثم تكبيرات الانتقال من ركن إلى ركن. وقد قال الإمام أحمد بوجوبها والجمهور على أنها مندوبة. والأولى من هذه التكبيرات حين الركوع. فإذا رفع رأسه قال: «سمع الله لمن حمده» أى أجاب الله من حمده فإنه إذا حمد ربه عز وجل فقد تعرض لكرمه وجوده فأعطاه ماتعرض له واستجاب له، فناسب أن يقول بعده «ربنا ولك الحمد». والتكبيرة الثانية من تكبيرات الانتقال حين يهوى إلى السجود، والثالثة حين يرفع رأسه من السجود وهى تكبيرة الجلوس بين السجدتين. ثم التكبيرة الرابعة وهى للسجدة الثانية ثم التكبيرة الخامسة حين يرفع رأسه من السجدة الثانية ثم يفعل ذلك فى الصلاة كلها. ويكبر حين يقوم من الركعتين بعد الجلوس للتشهد الأوسط وهى تكبيرة القيام للركعة الثالثة فى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول: «سمع الله لمن حمده» حين يرفع صلبه من الركوع. ثم يقول وهو قائم «ربنا ولك الحمد» ثم يكبر حين يهوى ساجداً، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع. ثم يفعل ذلك فى الصلاة كلها، ويكبر حين يقوم من اثنتين بعد الجلوس. رواه البخارى ومسلم.

سنن الصلاة

المعانى التى ينبغى ملاحظتها فى الصلاة - (الحمد لله رب العالمين)

علمنا فرائض الصلاة التى لايختلف الأئمة فى صحة صلاة من جاء بها كلها فى صلاته وعن كيفية الركوع والسجود.

(س) فنرجو أن توضحوا لنا سنن الصلاة. وما معنى السنة والفرق بينها وبين الفرض ؟

(ج) الأصل فى معنى السنة فى اللغة الطريقة. وأما معناها فى اصطلاح فقهاء الشريعة فهى ما يؤجر المرء ويثاب على فعله ولا عقاب عليه فى تركه. وأما الفرض فإنه يؤجر ويثاب على فعله ويعاقبه الله على تركه.

وأما سنن الصلاة فكثيرة. وبعض الأئمة يزيد على بعض فى تعدادها. ومنها ما قال بعض الفقهاء بوجوبه وبعضهم بسنيته. فمن ذلك:

١- رفع اليدين فى تكبيرة الإحرام. سنة عند الحنفية والشافعية والحنابلة، ومندوب عند المالكية.

٢- تكبيرات الانتقال كلها، وقال الحنابلة بوجوبها.

٣- دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام وقبل قراءة الفاتحة، لم يقل به المالكية. ومن دعاء الاستفتاح ما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا كبر للصلاة سكت هنيهة قبل أن يقرأ، فسألته فقال: أقول: «اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغلسنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد». متفق عليه، وهناك أدعية أخرى غير ذلك.

٤- قراءة ما تيسر من القرآن بعد الفاتحة فى ركعتى الصبح والركعتين الأولى والثانية من فرض الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

٥- الجهر بالقراءة فى صلاة الصبح، والركعتين الأوليين من المغرب والعشاء والوتر، ونافلة الليل. والسر بالقراءة فى الركعتين الأخريين من الظهر والعصر والعشاء، والركعة الأخيرة من المغرب.

٦- التسميع: وهو أن يقول حال الرفع من الركوع «سمع الله لمن حمده». والتحميد: وهو أن يقول بعد الرفع من الركوع «ربنا ولك الحمد».

٧- الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد الأخير. وهو سنة عند المالكية والأحناف وواجب عند الشافعية والحنابلة.

٨- وقال الشافعية بأن البسملة آية من الفاتحة تبطل الصلاة بتركها. ولذلك قال بقراءتها فى الفاتحة بعض من لم يقل بوجوب قراءتها احتياطًا لتكون الصلاة صحيحة على جميع المذاهب.

٩- التشهد الأول فى الصلاة. وقال الحنابلة بوجوبه.

١٠- إنصات المقتدى للإمام فى الجهر. والقراءة فى السر للسرية.

١١- ما زاد على تسبيحة واحدة فى الركوع والسجود فهو سنة عند الحنابلة. ومن الأئمة من قال: من السنة أن يسبح فى ركوعه بأن يقول: «سبحان ربى العظيم» ولكن أدنى الكمال لا يحصل إلا إذا أتى به ثلاث مرات سواء كان إماما أو مأموما. وقال بعض العلماء بوجوب الاطمئنان بقدر ثلاث تسبيحات لقوله ﷺ «إذا ركع أحدكم فليقل ثلاث مرات سبحان ربى العظيم وذلك أدناه، وإذا سجد فليقل سبحان ربى الأعلى ثلاثا وذلك أدناه» - ٣٢٤ج١ أبو داود.

١٢- الدعاء فى التشهد الأخير بعد الصلاة على النبى ﷺ وليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به كما أخرج ذلك البخارى ومسلم عن عبد الله ابن مسعود. ولا حرج عليه بما شاء دعا مالم يكن إثمًا أو قطيعة رحم.

ومن الأدعية: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وقد ورد عن أبى بكر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال: قل: «اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفرلى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم» رواه الشيخان والترمذى والنسائى ٦٢٣ ج٢ جمع الفوائد. وقد ورد عن النبى ﷺ أدعية أخرى.

(س) ما الآثار المقصودة والمعانى التى ينبغى أن يلاحظها الإنسان عند الصلاة؟

(ج) فى الصلاة الكاملة يطرح المؤمن فيها كونه وكيانه، فلا يشغل نفسه إلا بمناجاة مولاه، صاحب النعمة عليه، الملك القدوس. فيدخل فى الصلاة بالتكبير: الله أكبر. فإن كان له هم وشغل بدنيا، طرح دنياه: الله أكبر وأعظم. وإن كان له هم فى عدو يخشاه، طرح همه: الله أكبر. وأقبل على ربه بكليته يتشرف بمناجاته، فكأنما هو فى الملأ الأعلى مؤتسيا برسول الله ﷺ فى الحضرة الأحدية يناجى ربه من وراء حجاب، تغشاه عظمة الله وكبرياؤه: الله أكبر.

الحمد لله رب العالمين. وهل يستحق الحمد إلا الله؟ فهو المستحق الحمد بذاته، فإنه صاحب النعم على العالم بالأصالة لم يشاركه فى الإنعام بها أحد. فلا يستحق الشكر والحمد لذاته إلا هو على نعمه.

والكمال الذاتى له وحده، فلا يستحق الحمد والثناء لذاته غيره. وما أفيض على الخلق من الكمال فهو كماله، ونعمته على عباده، وهو فى الخلق هبة منه وهو رب العالمين.

بقية المعانى التى تستحضرها عند قراءة الفاتحة وفى الصلاة

تكلمنا عن سنن الصلاة ثم عن المعانى التى ينبغى أن يلاحظها الإنسان فى الصلاة وتكلمنا فى ذلك عن المعانى حال التكبير وفى الفاتحة عن الحمد لله رب العالمين.

(س) فنرجوا أن تبينوا لنا باقى المعانى فى فاتحة الكتاب ؟

(ج) الرحمن الرحيم، إيجاد العالمين بعد العدم إنما هو نتيجة لغنى البارئ سبحانه وجوده ورحمته، فإن الفقير الذى لا يملك شيئًا لا يستطيع أن يعطى أحدا. وغير الجواد - وإن ملك - لا يعطى. فالنعم التى أسبغت على العالمين إنما كانت عن غنى الحق وجوده ورحمته.

ورحمته سبحانه رحمة عامة تشمل المطيع وغير المطيع، أسبغها على الشاكرين وغير الشاكرين. ورحمة خاصة اختص بها أولياءه الذين أطاعوه وشكروه ولم يكفروا بأنعمه.

فالرحمن اسم الرحمة العامة الشاملة.

والرحيم اسم الرحمة الخاصة «بالمؤمنين رءوف رحيم».

فيستحضر العبد عند قوله تعالى: (الرحمن) أنه سبحانه المستحق وحده للشكر والثناء والطاعة، ويستحضر عظم جرم من كفر بنعمه سبحانه مع إسباغ نعمه التى لا تحصى عليه، مع أنه لا يزال سبحانه يصب النعم المتوالية عليه، وإن كان لا يزال يكفر به.

وعند قوله: (الرحيم) استحضار ما غمر به الطائع الموفق من أنوار طاعة الرحيم البارئ سبحانه وما أعد له من حسن الجزاء فى الدنيا والآخرة.

وإذا كان الحكم العدل لا يعقل أن يسوى بين الظالم المسىء والمظلوم، فإنه لابد من إقامة موازين العدل بالقسط فى دار غير هذه الدار، دار الجزاء. حيث يأتى ويعلم: إن كل إلا آتى الرحمن عبدا، فلا ملك إلا هو، ولا مالك إلا هو: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾.

(الانشقاق: ٦)

مالك يوم الدين: الدين أى الجزاء. ودان يدين فى لغة العرب جزى يجزى، ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأنبياء: ٤٨). ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨).

وحيث إن الكمال الذاتى له سبحانه وحده، والجود والرحمة له وحده، والنعم منه وحده، والملك فى الدنيا والآخرة له وحده، والحكم فى الأولى والآخرة له وحده، فلا يصح فى العقل ولا الشرع أن يكون الشكر والتعظيم والحب والرجاء والخوف والتمجيد والتقديس إلا له وحده.

إياك نعبد وإياك نستعين - والعبادة نهاية التعظيم مع نهاية المحبة مع أقصى الذل والخضوع من العبد. ولا نستعين إلا بك سبحانك على كل شأن من شئوننا ومنها عبادتك والالتجاء إليك.

اهدنا الصراط المستقيم - نسألك الهداية إلى طريق الاعتدال فى الأقوال والأفعال والأحوال. لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط.

الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴿ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩). وهم الذين عرفوا الحق واتبعوه، صراط الذين أنعمت عليهم.

أمـا من عـرف الحق وحـاد عنه ممن أضلهم الله على علم، فـهم المغضوب عليهم قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (البقرة ١٤٦: ١٤٧).

ولا الضالين: الذين ضلوا فى بوادى الحياة فلم يعرفوا الحق. الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». رواه الشيخان وأصحاب السنن.

والعبد تنقسم حياته إلى قسمين: حضرة الكبرياء - وحضرة السلام.

فإذا أحرم للصلاة فهو فى حضرة الكبرياء والعظمة الإلهية يناجى ربه منسلخاً عن العالم وعن بشريته، مستغرقا فى جلال ربه وعظمته، يحمد ربه.

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ثلاثا غير تمام» فقيل لأبى هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها فى نفسك، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدنى عبدى. وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى على عبدى. وإذا قال: مالك يوم الدين. قال الله: مجدنى عبدى. وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل». أخرجه مسلم والموطأ والترمذى والنسائى.

فإذا سلم من صلاته، فكأنه يقول للعالم السلام عليكم إنى عدت من بين يدى ربى أمنا وسلاما على العالمين، فلا يصل إلى أحد من الخلق منى أذى لا بلسانى ولا بجوارحى ولا بقلبى، فلا أفكر إلا فى السلام الدائم.

حتى جهاد المسلم تبع لجهاده ﷺ. وكان ﷺ فى كل جهاده وحروبه مدافعا عن الحق. وكان أعداء الحق هم الذين يهاجمونه. قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠). ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٣). فهو دفاع ضد المعتدين فى سبيل السلام.

معنى التسبيح
ماكان يقرأه ﷺ فى صلاته

تكلمنا عن معانى فاتحة الكتاب التى يستحضرها المصلى.

(س) فنرجو أن نعرف معنى التسبيح فى الركوع والسجود ؟

(ج) معنى التسبيح: تنزيه الله عز وجل عن صفات النقص كلها.

وقد جاءت جميع الأنبياء بتوحيد الله عز وجل، لأن من له نظير فى الكمال، مرتبته أقل ممن بلغ فى الكمال رتبة يستحيل أن يكون له فيها نظير. فالقادر الذى له نظير فى القدرة، لا يبلغ مرتبة القادر الذى لا يتأتى أن يكون له نظير فيها. وكذلك الملك، وكذلك العلم، وكذلك السلطان، ومن له نظير، يتصور العقل من هو أعلى منه رتبة. واللائق بكمال الذات العلية أن يكون فى أعلى رتبة من الكمال. فهو أحد فى ذاته سبحانه، وأحد فى صفاته، وأحد فى فعله. كما أنه سبحانه لايجوز أن يشبه شيئا أو يشبهه شىء. لأن ذلك ينافى الأحدية. سبحان ربك رب

العزة عما يصفون. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وكل ما خطر بالبال وتخيله الفكر، فالله منزه عنه.

فمعنى سبحان: أى تنزه الله وعلا عن الشريك، والشبيه، والمثيل والند، والضد والنظير. سبحان ربى العظيم.

وقول الرسول ﷺ سبحان ربى الأعلى. العلو الذاتى. لأن هناك فرقا بين العلو النسبى والعلو الذاتى.

فعلو المكان علو نسبى. فالسماء فوق الأرض، ولكن يجوز أن يكون فى الأرض من هو أفضل ممن فى السماء. وهذا رسول الله ﷺ أفضل العالمين وكان فى الأرض ﷺ.

أما العلو الذاتى: فإن الله عز وجل هو المنفرد بالوجود الذاتى وكل ما سواه لا وجود له إلا به. ولا حياة إلا به، ولا سمع ولا بصر ولا علم ولا تصريف ولا حكمة ولا قدرة ولا شرف. الكل فى قبضته وسلطانه وتحت قهره وعظمته.

(س) نرجو أن نعرف ما كان يقرأه رسول الله ﷺ من السور والآيات فى صلاته ؟

(ج) ورد فى ذلك أحاديث كثيرة عن الآيات والسور التى كان يقرأ بها النبى ﷺ فى صلاته نكتفى ببعضها:

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يقرأ فى صلاة الفجر بـ : ﴿ قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ ونحوها، وكانت صلاته إلى تخفيف. رواه مسلم.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة، الم تنزيل السجدة. وهل أتى على الإنسان حين من الدهر. وأنه ﷺ كان يقرأ فى صلاة الجمعة، سورة الجمعة والمنافقون.

رواه مسلم وأبو داود والنسائى وللشيخين والنسائى أيضا مثله عن أبى هريرة (٢٠٠ ج١ جمع الفوائد).

وعن أبى قتادة رضى الله عنه، أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الظهر، فى الأوليين بأم الكتاب وسورتين، وفى الأخريين بأم الكتاب. ويسمعنا الآية احياناً، ويطول فى الأولى ما لا يطيل فى الثانية. وكذا فى العصر والصبح. رواه الشيخان والنسائى وأبو داود.

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الظهر والعصر، بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق ونحوهما. رواه أصحاب السنن.

وعنه أيضاً كان ﷺ يقرأ فى الظهر: بالليل إذا يغشى. وفى العصر: نحو ذلك، وفى الصبح: بأطول من ذلك. رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

وعن أم الفضل سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالمرسلات عرفا. ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله تعالى.

وعن مروان بن الحكم قال لى زيد بن ثابت: ما لك تقرأ فى المغرب بقصار المفصل، وقد سمعت النبى ﷺ يقرأ بطولى الطوليين - رواه البخارى والنسائى وأبو داود، وزاد قلت وما طولى الطوليين؟ قال الأعراف وسألت ابن أبى مليكة، فقال لى من قبل نفسه المائدة والأعراف.

المفصل: من ق إلى آخر القرآن. وسمى مفصلا لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة على الصحيح. كما ذكره الحافظ بن حجر فى فتح البارى فى باب الجمع بين السورتين فى ركعة.

وعن جبير بن مطعم سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ (الطور: ٣٥-٣٧). كاد قلبى أن يطير - للستة إلا الترمذى.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا قد سمعت رسول الله ﷺ يؤم بها الناس فى الصلاة المكتوبة- رواه مالك.

وعن ابن مسعود جاء رجل فقال إنى أقرأ المفصل فى ركعة فقال هذا كهذ الشعر ونثرا كنثر الدقل. لكن النبى ﷺ كان يقرأ النظائر السورتين فى ركعة: الرحمن والنجم فى ركعة، واقتربت والحاقة فى ركعة، والطور والذاريات فى ركعة، وإذا وقعت ون فى ركعة، وسأل سائل والنازعات فى ركعة، وويل للمطففين وعبس فى ركعة، والمدثر والمزمل فى ركعة، وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة فى ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات فى ركعة والدخان وإذا الشمس كورت فى ركعة، وهذا تأليف ابن مسعود. رواه الستة إلا مالك بلفظ أبى داود.

وعن جابر رفوه: أفضل الصلاة طول القنوت. مسلم والترمذى نحوه.

وعن أبى سعيد: كنا نحزر قيام رسول الله ﷺ فى الظهر والعصر فحزرنا قيامه فى الركعتين الأوليين من الظهر قدر الم تنزيل السجدة، وحزرنا قيامه فى الأخريين من العصر على النصف من ذلك. لمسلم وأبى داود والنسائى.

وعن أبى سعيد: لقد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب إلى البقيع فيقضى حاجته ثم يتوضأ ثم يأتى رسول الله ﷺ فى الركعة الأولى مما يطولها، رواه مسلم والنسائى.

(س) نرجوا أن نعرف بعض الأدعية التى وردت عن رسول الله ﷺ، وكان يدعو بها فى صلاته ؟

(ج) وردت فى السنة المطهرة أدعية كثيرة عن رسول الله ﷺ نكتفى بذكر شىء منها. عن على رضى الله عنه كان النبى ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال:

«وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين. إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين».

«اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربى وأنا عبدك. ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعاً لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله فى يديك والشر ليس إليك. أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك».

وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت. خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى».

فإذا رفع رأسه قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شىء بعد».

وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت. سجد وجهى للذى خلقه وصوره. وشق سمعه وبصره. تبارك الله أحسن الخالقين».

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى. أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت». رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

وعن أبى سعيد: كان النبى ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال:

«اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شىء بعد. أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد - اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد». رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

وعن أبى هريرة رفعه أن النبى ﷺ كان يقول فى سجوده: «اللهم اغفر لى ذنبى كله، دقه وجله، أوله وآخره، سره وعلانيته» رواه مسلم، وأبو داود.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى». رواه الترمذى وأبو داود.

وعن أبى بكر رضى الله عنه: قلت يارسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال: «قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم»، للشيخين والترمذى والنسائى.

جواز الدعاء بغير المأثور
الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر

تكلمنا عن معنى التسبيح ثم ذكرتم لنا بعض السور والآيات التى كان يقرأ بها النبى ﷺ فى صلاته - وكذلك بعض الأدعية.

(س) فهل لايصح الدعاء فى الصلاة إلا بما ورد عن النبى ﷺ وكذلك فى غير الصلاة ؟

(ج) لا خلاف بين الفقهاء فى مذاهب أهل السنة والجماعة أن المصلى يدعو بما شاء بعد التشهد لقوله ﷺ: «ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو».

قال العلامة النووى فى كتابه الأذكار ص ٨٥: اعلم أن هذا الدعاء مستحب ليس بواجب ويستحب تطويله إلا أن يكون إماما، وله أن يدعو بما شاء من أمور الآخرة والدنيا، وله أن يدعو بالدعوات المأثورة، وله أن يدعو بدعوات يخترعها والمأثورة أفضل. أ هـ.

وقال الإمام الشوكانى فى كتاب تحفة الذاكرين فى باب دعاء عمر ابن عبد العزيز رحمه الله: وما أحسن ما كان يدعو به الخليفة العادل

عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فإنه كان يقول: يا من وسعت رحمته كل شيء، أنا شيء، فلتسعنى رحمتك يا أرحم الراحمين. وقلت أنا: يا من كتب على نفسه الرحمة لعباده، إنى من عبادك فارحمنى يا أرحم الراحمين.

وقال أيضا فى حديث: ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو. الحديث أخرجه البخارى وهو طرف من حديث ابن مسعود فى التشهد. وفيه تفويض للمصلى الداعى بأن يختار من الدعاء ما هو أعجبه إليه، إما من كلام النبوة أو من كلامه، والحاصل أنه يدعو بما أحب من مطالب الدنيا والآخرة، ويطيل فى ذلك أو يقصر، ولاحرج عليه بما شاء دعا ما لم يكن إثمًا أو قطيعة رحم. أ هـ كلام الشوكانى.

وعن رفاعة بن رافع رضى الله عنه قال: كنا نصلى وراء النبى ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده. قال رجل من ورائه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. فلما انصرف قال: من المتكلم؟ قال أنا. قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول. رواه مالك والبخارى وأبو داود والنسائى.

وقد كان رسول الله ﷺ يكافئ من يحسن الثناء على الله عز وجل. فعن أنس رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ مر على أعرابى وهو يدعو فى صلاته: يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر، ويعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا بحر ما فى قعره، ولا جبل ما فى وعره، اجعل خير عمرى آخره، وخير عملى خواتمه، وخير أيامى يوم ألقاك فيه. فوكل رسول الله ﷺ بالأعرابى رجلا، فقال: «إذا صلى فأتنى به». فلما صلى أتاه الأعرابى، وكان قد أُهدى لرسول الله ﷺ ذهب من بعض المعادن، فلما أتاه الأعرابى، وهب له

الذهب، وقال: «ممن أنت يا أعرابى»؟ قال: من بنى عامر بن صعصعة يا رسول الله، قال: «يا أعرابى: هل تدرى لم وهبت لك الذهب»؟ قال: للرحم التى بيننا وبينك، قال: «إن للرحم حقا، ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله سبحانه وتعالى». (قال فى مجمع الزوائد رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأذرمى وهو ثقة. قال الحافظ فى التقريب ثقة من العاشرة).

ومن ذلك يتبين أن الدعاء مطلوب بالوارد وغير الوارد وهذا الذى جرت به السنة فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته وجرى عليه أصحابه رضوان الله عليهم وهم أفقه الناس لكلام رسول الله ﷺ وكانوا يدعون بما يلهمهم الله تبارك وتعالى أو يقرون من دعا بذلك سواء فى الصلاة أو خارج الصلاة وكذلك التابعون وتابعوا التابعين ومحققوا العلماء رضوان الله عليهم اجمعين.

(س) **يقول الله تعالى:** ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾. (العنكبوت: ٤٥). **والمشاهد أن بعض من يقيمون الصلاة لا ينتهون عن الفحشاء والمنكر فبم تعلل ذلك ؟**

(ج) المقصود بالصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر الواردة فى الآية الكريمة هى الصلاة الصحيحة التى استوفيت أركانها من الحضور فيها مع الخشوع.

والالتجاء إلى الله عز وجل وصدق التوجه إليه تبارك وتعالى. ولذلك ورد: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا». وقد ورد مرسلا عن الحسن بسند صحيح كما صح عن بعض الصحابة كابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما، وذلك ما دام لم تنهه صلاته فإذا نهته فقد أثرت الصلاة فيه بالنور.

وروى عنه ﷺ وقد سئل إن فلانا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق قال: «سينهاه ما تقول». أى ستنهاه صلاته يوما ما إذا حافظ على الصلاة فبالمداومة تؤثر فى قلبه فيرجع إلى ربه تبارك وتعالى يوما ما.

أوقات الصلوات والحكمة فى تحديدها

عدد الركعات ولماذا تختلف - الحكمة فى أن تكون الصلاة بهذه الصورة. أوضحتم لنا جواز الدعاء بالمأثور وغير المأثور فى الصلاة وخارج الصلاة وعن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (العنكبوت: ٤٥) وكيف نعلل ذلك مع وجود من يقيمون الصلاة وهم لا ينتهون عن الفحشاء.

(س) فنرجو أن تبينوا لنا أوقات الصلوات الخمس والحكمة فى تحديدها ؟

(ج) إن الله عز وجل جعل الصلاة علاجا لظلمات القلب التى تطرأ عليه فتظلمه، فإن مثل القلب مثل المرآة المجلوة، ومثل المخالفات كمثل الصدأ الذى يغطى هذه المرآة.

وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت». فذلك قول الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين: ١٤). رواه ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجة من طرق. وقال الترمذى حسن صحيح.

فإذا هب العبد من نومه حَسُنَ أن يشكر الله عز وجل حيث رد الله عليه روحه وكان رسول الله ﷺ يقول إذا أخذ مضجعه: «باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وكان ﷺ إذا قام من النوم قال: «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

فيذكر الله عند قيامه من نومه. إن الموت هو النومة الكبرى وإنه كما يقوم من النومة الصغرى سيقوم من قبره من النومة الكبرى - الموت - إلى الموقف الأكبر حيث الحساب والجزاء فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره.

فيبدأ حياة يومه بصلاة الصبح، شكرًا لله عز وجل على ما أنعم الله عليه من الحياة أولا، وإعادة الحياة إليه فى يومه، مع توالى النعم عليه. ويسأل الله عز وجل أن يحفظه فى حركاته وسكناته وغدواته وروحاته، فى دينه ودنياه وجسده وروحه لنفسه ولأهله وللمؤمنين.

ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر الصادق - وهو الذى ينتشر فى الأفق - كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (البقرة: ١٨٧) - إلى طلوع الشمس - وهو الوقت الذى تستيقظ فيه الحيوانات بفطرتها.

وقد لوحظ أن أكثر المعمرين كانوا ممن يحافظون على صلاة الفجر. وذكر العلماء أن نسيم الفجر له أثر فى الجسد والروح معاً. الجسد بالصحة. والروح حيث إن الإنسان إذا استيقظ كان قريب العهد بوجود الروح فى عالم البرزخ فى وقت التجلى الإلهى فى آخر الليل.

فإذا اشتغل الإنسان بكسبه بالزراعة أو بالتجارة أو بالصناعة أو غير ذلك، ففى الظهيرة وقت الراحة، فحسن أن يرجع إلى ربه تبارك وتعالى فيشكره لما أنعم عليه من الصحة والعافية والتوفيق، ويستغفره لما قدمت يداه مما يعلم ومما لا يعلم، بأداء صلاة الظهر.

ووقتها بعد زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شىء مثله. حيث يعود الناس إلى أعمالهم بعد أن أراحوا أنفسهم فى القيلولة. فيؤدى صلاة العصر. ووقتها إلى غروب الشمس. حيث يرجع الناس غالبا إلى دورهم.

فيؤدى صلاة المغرب، شاكرا لله على حفظه وعودته إلى أهله. ووقتها من غروب الشمس إلى مغيب الشفق الأحمر. ثم يحل موعد صلاة العشاء فيؤديها قبل أن ينام شكرا لله على توفيقه فى يومه.

ويسأل الله كما تقدم عن النبى ﷺ أن يحفظه ويكلأه فى ليلته وأن يغفر له. ويمتد وقتها إلى الفجر. قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣٨).

(س) وما عدد ركعات كل فرض من الصلوات الخمس، ولماذا يختلف عدد الركعات فى بعض الفروض ؟

(ج) الصبح ركعتان، والظهر والعصر كل منهما أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات.

وقد فرضت الصلاة فى أول الأمر ركعتين ركعتين لكل فرض من الأوقات الخمسة ما عدا صلاة المغرب فإنها ثلاث ركعات. ثم زيدت صلاة الحضر «أى صلاة المقيم غير المسافر» فى الظهر والعصر والعشاء فأصبح كل من هذه الفروض الثلاثة أربع ركعات. وأقرت صلاة السفر كما هى ركعتين ركعتين ما عدا المغرب فبقى على الزيادة ثلاث ركعات حضرًا وسفرًا لأنه من صلاة الليل. وصلاة الليل وتر «أى فرد» وقد أمر رسول الله ﷺ بصلاة الوتر بعد صلاة العشاء لتكون وترا كصلاة المغرب. وفى ختم الصلاة بالوتر إشارة إلى توحيد الله عز وجل وأنه سبحانه وتعالى واحد لا شريك له.

(س) وهل صلاة الوتر فرض وما عدد ركعاته ؟

(ج) فى مذهب الإمام أبى حنيفة، واجب، يأثم المسلم بتركه. وفى المذاهب الأخرى، سنة مؤكدة، وإن لم يأثم تاركه يفوته خير كثير. ويصح أن يعاتب عليه.

أما عدد ركعات الوتر فثلاث ركعات عند أبى حنيفة مجموعة ليس بينها سلام. وعند الأئمة ركعتين ثم يسلم ثم ركعة واحدة.

(س) وما هى الحكمة فى أن يكون الركوع والسجود فى الصلاة بهذه الصورة المعروفة ؟

(ج) فرضت الصلاة فى الملأ الأعلى بالصورة المعروفة. وفى ذلك تشبه بالملائكة أهل الملأ الأعلى فإن منهم من عبادته الركوع. ومنهم من عبادته السجود. ومنهم من عبادته القيام.

وكأنما المصلى دخل إلى الحضرة القدسية. وبدأ الدخول بين يدى الله عز وجل بالتكبير، إعلانا أنه لا يستحق الكبرياء لذاته والعظمة لذاته إلا الله وحده. فهو الخالق وما سواه مخلوق. وهو المنعم، وما سواه منعم عليه وجب عليه شكر المنعم والاعتراف بعظمته ونعمته.

ويبدأ صلاته بحمد ربه ومناجاته. ثم بعد الحمد القولى والتعظيم، يركع وهو تعظيم فعلى. وكأنما الحق سبحانه يخاطبه بأن يرفع رأسه، تكريما للمصلى. فيطيع أمره بالرفع من الركوع، حامدا لربه تبارك وتعالى. ثم يزداد فى التعظيم الفعلى، فيسجد لربه تبارك وتعالى. وهو منتهى التعظيم لمن لايستحقه إلا هو ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ (فصلت: ٣٧).

فلا يستحق السجود إلا الله: وكأنما يخاطبه ربه بأن يرفع رأسه فيزداد خضوعا لمولاه فيسجد سجدة ثانية، إمعانا فى الخضوع والعبودية للملك الأعلى سبحانه. وكأنما يخاطب الله عز وجل عبده، ارفع رأسك، وسل تعطه. فيرفع رأسه معترفاً لله عز وجل بالثناء عليه سبحانه والسلام على المصطفى ﷺ والصلاة عليه ثم يسأل ربه ما شاء. وقد سمع النبى ﷺ رجلا يدعو فى صلاته فلم يصل على النبى. فقال ﷺ: عجل هذا. ثم دعاه وقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه

ثم ليصل على النبى ﷺ ثم ليدع بعد ما شاء. رواه الترمذى وأبو داود والنسائى عن فضالة بن عبيد.

فكأنه جمع فى صلاته سائر أنواع العبادات التى يقوم بها الملائكة، وفى ذلك إشارة إلى أن الروح أصلها من عالم النور، فينبغى أن تتصف بالطهارة التى يتصف بها الملأ الأعلى. وتتجرد من الظلمات التى تبعدها عن قربها من مولاها سبحانه وتعالى.

صلاة الجمعة الحكمة فى مشروعيتها
صلاة الجنازة - صلاة التطوع

تكلمنا عن أوقات الصلوات الخمس والحكمة فى تحديدها - وعدد ركعات كل فرض ولماذا يختلف عددها - وصلاة الوتر - والحكمة فى أن تكون الصلاة بهذه الصورة. وقد وردت أسئلة عن باقى الصلوات المفروضة وعن صلاة التطوع.

(س) هل صلاة الجمعة فرض؟ وما الحكمة فى مشروعيتها؟

(ج) مما فرض الله على عباده صلاة الجمعة للمقيم - أى غير المسافر - وفى الجماعة.

وفى الصحيح عن النبى ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم جمعة». رواه أحمد ومسلم والترمذى عن أبى هريرة.

وخروج آدم من الجنة لعمارة الأرض ووجود ذريته الذين منهم الأنبياء والأولياء. وقد عظم الله هذا اليوم وفرض على عباده أن يجتمعوا ويعظموا فيه خالقهم بالطاعة.

وشرعت ليجتمع أهل البلدة فى المؤتمر الأسبوعى إلى سماع العظات التى تزيد الإيمان ثباتا وتحض على مكارم الأخلاق والتآلف والتعاضد والبعد عن المساوئ والتحلى بما يدعو إلى الهدى والاستقامة على الصراط المستقيم.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا يوم الجمعة ورأوا أن أحدهم قد تخلف عن صلاة الجمعة نظروا فإن كان مريضا عادوه وإن كان ذا حاجة أعانوه.

وهو اليوم الذى فرضه الله على اليهود ولكنهم اختاروا يوم السبت زاعمين أن الله عز وجل خلق الخلق ثم استراح فى اليوم السابع، ولكن الله عز وجل قال فى كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق : ٣٨). فإن التعب مستحيل على القادر المنزه عن كل نقص سبحانه.

وروى ابن أبى حاتم عن السدى: إن الله تعالى فرض الجمعة على اليهود فقالوا ياموسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئا فاجعله لنا. وذكر الأبى أن فى بعض الآثار أن موسى عين لهم الجمعة وأخبرهم بفضله. فناظروه بأن السبت أفضل فأوحى إليه دعهم وما اختاروا.

(س) هل هناك صلوات مفروضة غير هذه الصلوات ؟

(ج) نعم- صلاة الجنازة على الميت وهى فرض كفاية إذا قام بها بعض المسلمين كان ذلك كافيا ورفع الإثم عن غير المصلين. فإن ترك الميت من غير أن يصلى عليه أحد أثم المسلمون الذين علموا بموته ولم يصلوا عليه جميعا.

جاء رجل إلى النبى ﷺ وسأله عن الصلاة فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات فى اليوم والليلة. قال: هل على غيرهن؟ قال: لا، إلا أن تطوع.

(س) فما هى صلاة التطوع وما الفرق بينها وبين الفرض ؟

(ج) الفرق بين صلاة الفريضة وصلاة التطوع أن من أخل بالفريضة كان آثما واستحق العقاب، وأما التطوع وهو ما ترك لاختيار الإنسان، فإن فعله أعطاه الله عز وجل من الثواب ما شاء. وإن تركه لا يعاقب عليه ولكن يفوته الخير العظيم.

وصلاة التطوع تنقسم إلى قسمين:

صلاة مقرونة بالأوقات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح. منها ظهر الجمعة. وصلاة الليل وصلاة الضحى، وقيام رمضان - وهى صلاة التراويح - وصلاة العيدين وقال أبو حنيفة بوجوب صلاة الوتر وصلاة العيدين (عيد الفطر وعيد الأضحى).

والقسم الثانى من صلاة التطوع - الصلاة المقرونة بالأسباب وهى:

صلاة الكسوف والخسوف: وهى عند كسوف الشمس وخسوف القمر.

وصلاة الاستسقاء: عند تأخير نزول الأمطار أو نقص الأنهار.

وتحية المسجد - وهى عند دخول المسجد

وصلاة الحاجة - وهى لجميع المطالب.

وصلاة الاستخارة - إذا هم المسلم بأمر فيسأل ربه أن يوجهه إلى الخير فيه.

وصلاة التسبيح - وهى حمد الله وتسبيحه وتكبيره والالتجاء إليه ليتعلم القلب تنزيه الله عز وجل وترك مشاغل الدنيا ظاهرًا وباطنا مدة هذه الصلاة.

وجعل الله صلاة التطوع لأن رسول الله ﷺ ذكر أن من الناس من يصلى صلاة لا يكتب له إلا ربعها أو خمسها أو عشرها. وفى الحديث: إن

الله لا يقبل دعاء قلب غافل لاه. وقد يشتغل العبد فى صلاته وتتوالى عليه الهواجس والأفكار فمن رحمة الله عز وجل أن يكمل له ما شرد ذهنه فى صلاته من صلوات النوافل وهى التطوع. وهذا من الرحمة الإلهية.

الصوم والحكمة فى مشروعيته
تذكير الإنسان بحقيقته الروحية وتغليب خصائص الروح
والتخلص من صفات النقص والتحقق بصفات الكمال

تكلمنا عن صلاة الجمعة وصلاة الجنازة وهما من الصلوات المفروضة، كما تكلمنا إجمالا عن صلاة التطوع، وسنتكلم عن الصوم ونبدأ بهذا السؤال العام عن الصوم.

(س) ما هى الحكمة فى فرض الصوم وماذا يستفيد الإنسان منه ؟

(ج) العبادة لا تعتبر عبادة، إلا إذا كانت خالصة لله عز وجل، تعظيما لأمره تعالى لنفس الأمر، وسواء عرفنا الحكمة فى الأمر أو لم نعرف، لأنه من المقطوع به أن الحكيم الغنى سبحانه وتعالى، لا يحتاج لعبادة خلقه، ولا يأمر إلا بما هو عين الحكمة. فإن العبث محال على من وجب له الكمال الذاتى الذى لا نهاية له.

وقد أمر الله عز وجل بالصوم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة :٢١).

والإنسان روح وجسد وحقيقته - العليم، السميع، البصير، المفكر - هو الروح. وإنما الجسد كبيت تأوى فيه الروح مدة حياتها، مخالطة للمادة فى هذا العالم الأرضى.

وللروح خصائص، وللجسم المادى خصائص. فالذى يأكل ويشرب ويباشر الشهوات، إنما هو الجسد. والروح لا حاجة لها لهذه الأمور كلها، وتفارق الجسد بالنوم وبالموت، وهى مجردة عن الحاجة للطعام والشراب. والأرواح كانت موجودة قبل خلق الأجساد.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه قال: «باسمك ربى وضعت جنبى، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين».

ففى الروح شبه بالملائكة أهل الملأ الأعلى، فى تجردها واستغنائها عما يلزم الجسد. فأمر الله عز وجل عباده بالصوم، ليتذكروا أن حقيقتهم هى الروح، التى كانت تحيا - قبل اتصالها بهذا العالم الأرضى - الحياة الروحية المحضة، التى لا مادية فيها، ولا طعام ولا شراب ولا شهوة حيوانية.

وإن للروح مطالب، تكميلها بالعلم والمعرفة، وحب الله وشكره على ما أنعم عليها بالحياة والعلم والقوة والسمع، والبصر والكلام والتدبير وغير ذلك. ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

والعمل على تغليب خصائص الروح، من الكرم والإحسان والحلم والعفو، والرحمة والطهارة والعدل والشكر والصبر، والتخلص من صفات النقص كلها كالظلم والشح والخداع والحسد والشرور والآثام.

ومجمع ذلك كله صفة التقوى، كما قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾. (البقرة: ٢١)

ولما كان من الأسباب الرئيسية لانحراف الإنسان عن التقوى وطاعة الله عز وجل والعمل الصالح، هو ضعف الإرادة، وعدم التحكم فى الغرائز من الغضب والشهوة وحب الغلبة والظهور ونحو ذلك. فالسكير مثلا. يعلم ضرر الخمر، ويحب أن يتخلص منها، ولكن يحول دون ذلك ضعف إرادته.

وكذلك الذى يغلبه الغضب حتى يدفعه إلى ارتكاب ما يقضى عليه بالسجن أو الإعدام. لو أن له إرادة قوية، لأحجم عما يؤدى به إلى الهلاك.

والعبد الذى يرتكب المعصية، يقع فى أمرين: فى الغفلة عن مراقبة الله عز وجل له، وطمس بصيرته بعدم الحياء من الله سبحانه، والأمر الثانى تعريضه نفسه إلى شر المآل، نار جهنم التى أعدت للفاسقين.

فالصائم، يترك طعامه وشرابه وشهوته، طاعة لأمر ربه، وابتغاء مرضاته، وخوفًا من عقابه. يترك ذلك فى العلانية وفى السر. وهو يستطيع أن يقتحم ما نهاه الله عنه فى الصيام، فى خلوة لايراه فيها الناس. ولكنه لا يفعل ذلك مهما خلا بنفسه. وبهذا تعلم المراقبة لربه، ووضع فى قلبه بذر العمل مع التعظيم والحياء من الله عز وجل.

وإذا كان قد ترك الحلال - من طعام وشراب وشهوة - وقد أباح الله له ذلك - تركها طاعة لله، فهو للحرام أشد تركا. فإن ترك الحرام أسهل وأيسر من ترك الطعام والشراب الحلال وهى من الضرورات للإنسان. وما من حرام إلا ويمكن الاستعاضة عنه بالحلال.

وبهذا تربت فيه قوة الإرادة. لأن من قدر على ترك الحلال فهو على ترك الحرام أقدر.

كما أن محافظته فى السر، على عدم الإفطار، يعود القلب الأمانة فيما يستطيع أن يغتاله بغير مراقبة من الخلق أو جزاء منهم. فيكون أمينًا على ما اؤتمن عليه. ولا يخون فى كبير أو صغير.

وقد قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

كما أن الصيام ييسر على المرء الحمية، فيقتصر فى الطعام والشراب وغيره على ما يصلح به جسده، ويجتنب ما يضر به.

كيفية الصيام التى تتحقق بها حكمته - تدرج عبادة الصوم

(س) كيف يصوم الإنسان الصوم الذى تتحقق به الحكم والآثار المقصودة من الصوم ؟

(ج) الصوم مراتب:

فأولها: الكف عن شهوتى البطن والفرج. بنية طاعة الله عز وجل، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهذا متعلق بالجسد.

ووراء ذلك كف الجوارح عن الحرام، فلا ينطق بحرام. قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور، والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه». رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة.

وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به. والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إنى صائم، إنى صائم». رواه البخارى ومسلم.

جنة - وقاية وحصن من الوقوع فى المعاصى. أو ستر ومانع منها.

لا يرفث - لايفحش فى القول.

وثانيها: كف النظر عن الحرام، والاستماع إلى الحرام، وألا يسعى بقدميه إلى الحرام ولا يمد يده إلى حرام.

وكما أنه طهر ظاهره من الحرام فلا بد أن يطهر باطنه من الظلمة.

وقد سئل ﷺ: أى الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: أما صدوق اللسان فنعرفه يا رسول الله فما مخموم القلب؟ قال: هو التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولاحسد».

والمراد بالحسد، تمنى زوال نعمة الغير. وهو بذرة الشرور والآثام وصاحبه يعيش فى غم، ويموت فى غم، حيث لايعجبه أن ينعم الله على إخوانه المسلمين، وهو السبب فى طرد إبليس من دار الكرامة.

فمثل هذا الصوم، هو الذى ينتج رضوان الله عز وجل، وإفاضة النور والتقوى.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق ٢، ٣)، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة ٢٨٢).

وينتج المحبوبية عند الله تبارك وتعالى، فيكون صاحبه معروفا فى السماء أكثر مما هو معروف فى الأرض لأن العمل الخالص يرفع إلى الله فيكون مقبولا.

(س) وهل فرض الصوم بهذه الصورة المعروفة مدة شهر رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، من بدء الإسلام، أم كيف فرض ؟

(ج) شاء الله عز وجل الصيام للأمة بالتدريج ليعلمنا كيف يربى الإنسان نفسه، فلا يحملها من أول الأمر على ما يشق عليها.

روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال.

فأما أحوال الصيام، فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء.

ثم إن الله فرض عليه الصيام، وأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن

تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ١٨٣، ١٨٤).

فكان من شاء صام، ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه.

ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذى لايستطيع الصيام. فهذان حالان.

قال: وكانوا يأكلون ويشربون، ويأتون النساء، ما لم يناموا. فإذا ناموا امتنعوا. ثم إن رجلا من الأنصار، يقال له صرمة، كان يعمل صائماً حتى أمسى، فجاء إلى أهله، فصلى العشاء ثم نام، فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح. فأصبح صائماً فرآه رسول الله ﷺ وقد جهد جهداً شديداً، فقال: «ما لى أراك قد جهدت جهداً شديداً؟» قال يا رسول الله: إنى عملت امس، فجئت حين جئت، فنمت، فأصبحت حين أصبحت صائماً. قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى النبى ﷺ، فذكر له ذلك. فأنزل الله عز وجل ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة ١٨٧).

وروى الحاكم فى المستدرك عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: كنا فى رمضان على عهد رسول الله ﷺ، من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بطعام مسكين، حتى نزلت الآية ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ الآية، وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى.

وقد استقر الحال على ذلك.

(س) هل للصوم الصحيح المقبول عند الله علامة يعرف بها الصائم إن كان صومه مقبولا ؟

(ج) قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الليل ٥:٧)

فعلامة العمل المقبول أن تظهر نتيجته وغايته، ومثل المسلمين فى شهر رمضان كمن دخل مصحة، يستشفى فيها من آفات النفس وطباعها الذميمة، وتعديل الغرائز إلى الوسط المقبول، لا إفراط ولا تفريط، ومن الناس من طغى على طباعة الحرص على جمع المال لايبالى إن كان من حلال أو حرام. ومن الناس من تسوده القسوة وانتزعت من قلبه الرحمة، فلا يبالى فى سبيل مقاصده أن يشقى من يشقى ليصل فوق شقائهم إلى غرضه، وقس على ذلك. فإذا خرج من شهر رمضان شهر الصوم وقد تغيرت طباعه، وتعدلت غرائزه فذلك الذى نفع فيه العلاج وخرج من المصحة معافىً سليما، والمعيار فى ذلك كتاب الله (القرآن) وأخلاق رسول الله ﷺ فقد تجسمت المكارم فيها. قال تعالى. ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

(س) سؤال أخير عن الصوم ألا يعتبر الصوم أمرا شاقا على النفس ؟

(ج) كان أصحاب النبى ﷺ يُصوّمون صبيانهم، ليتعودوا الصوم من الصغر، وقد رأينا صبيانا صائمين وهم فى الثامنة والتاسعة. والصوم عادة. فهو سهل على من تعوده، وإنما يشق على من أهمل نفسه وترك الصوم حتى نشأ وكبر على عدم الصيام.

قيام رمضان وكيفيته - ليلة القدر

(س) ما هو المقصود من قيام رمضان وكيف كان النبى ﷺ يقومه.

(ج) كما أن للجسد رياضة، يقصد بها أن يسهل عليه أمر خاص، كرفع الأثقال، والمسابقة، وأنواع الفروسية. فللنفس رياضة تؤهلها إلى صدق العزم، وتقوية الإرادة، وتوجيه ذلك إلى الخير، لها خاصة ولبنى الإنسان عامة. فتتطبع فيها المكارم، وتتخلص من الصفات الذميمة.

ولهذا فرض الله الصيام على المؤمنين. وأمر النبى ﷺ بقيام رمضان، أى إحياء لياليه، بالصلاة وذكر الله عز وجل، والالتجاء إليه سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

والصوم بالصورة التى جاء بها الإسلام، أبلغ أثراً فى تمرين المرء على كف نفسه عن الشهوات، بطريقة معتدلة، لا ضرر فيها، فليس الصوم بترك الطعام والشراب، من الفجر إلى الغروب، كمن يأكل ويشرب طول نهاره وطول ليله ما شاء من الأطعمة إلا ما كان فيه الروح. فإن كثيرين يعيشون على النباتات. وفى الفواكه والنباتات ما يعوض الجسد عن الأطعمة الحيوانية. بل هناك ماهو خير منها.

والصوم الشاق، نهى عنه النبى ﷺ. فقد نهى عن الوصال وهو أن يصوم ولا يفطر فى الليل ثم يصوم اليوم الآخر. قالوا يا رسول الله إنك تواصل قال : «إنى لست كهيئتكم، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى». أى يمده بنور وقوة منه سبحانه، فيتحمل مواصلة الصيام عدة أيام.

وأمر ﷺ بقيام رمضان للمستطيع. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ، يرغب فى قيام رمضان، من غير أن يأمرهم فيه

بعزيمة فيقول: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه». رواه البخارى ومسلم.

إيمانا: أى يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه، غير كاره له، ولا مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه.

واحتسابا: أى خالصا لوجه الله تعالى، وطلبا لثوابه.

وعن أنس بن مالك، رضى الله عنه، قال: دخل رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم» رواه ابن ماجة بإسناد حسن.

والصيام والقيام، كأنما استعيض بهما عن الرهبانية فى الأمم المتقدمة. فإن الرهبانية تعطيل لبعض وظائف الإنسان. ولو فرضنا أن العالم كله ترهب، واشتغل بالعبادة ولم يتزوج، فإن الإنسانية تنقرض من وجه الأرض. وهل هناك أبشع من هذه الجريمة، وأى فائدة للإنسانية بذلك.

ولكن بالصيام والقيام، والتبتل والابتهال إلى الله ومناجاته فى أنسب الأوقات للمناجاة - الليل- حيث يعود الناس من اشتغالهم بمطالب الحياة، فيلتجئون إلى مطالب الروح. ولاشك أن الروح متى صفت وتهذبت من الظلمات، ومن مساوئ الأخلاق، ستسلك فى حياتها بالصدق والرحمة والعدل والإحسان.

وخص قيام الليل فى شهر رمضان، لأنه هو الشهر الذى أنزل فيه القرآن. قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وكان ﷺ يدارس جبريل القرآن فى شهر رمضان.

(س) **وكيف كان قيام النبى ﷺ فى رمضان ؟**

(ج) اتخذ النبى ﷺ ستارا من حصير فى المسجد فى رمضان فصلى من وراء هذا الستار، فجاء رجال من أصحابه يصلون بصلاته، ثم صلى الليلة الثانية كذلك، وكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «رأيت الذى صنعتم، فلم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم». وترك النبى ﷺ الاجتماع لقيام رمضان. فكان الناس يصلون متفرقين فى المسجد، يصلى الرجل وحده، أو يصلى مع جماعة. وتوفى النبى ﷺ والأمر على ذلك.

وكذلك كان الأمر فى زمن أبى بكر، وصدر من خلافة عمر. وكان ﷺ يصلى إحدى عشرة ركعة فى رمضان وفى غيره.

وعن عبد الرحمن بن عبد القارى، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب فى رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون «أوزاع أى جماعات» يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط، «والرهط ما دون العشرة». فقال عمر: إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل. ثم عزم، فجمعهم على أبى بن كعب. ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم. فقال عمر: نعمت البدعة هذه، والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون. يعنى آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله. رواه البخارى.

ولمالك فى الموطأ، عن يزيد بن رومان، قال: كان الناس فى زمن عمر، يقومون فى رمضان، بثلاث وعشرين ركعة.

وليس هناك فرق، بين الصلاة بإحدى عشرة ركعة، وبين ثلاث وعشرين ركعة لأن هذا جائز، وذاك جائز. ولم يأمر النبى ﷺ أصحابه بعدد مخصوص فى صلاة التراويح فى رمضان، ولا فى قيام الليل فى غير

رمضان، وكانوا يقومون بإحدى عشرة ركعة فى زمن عمر. ثم استقر الأمر بعد ذلك فى زمنه على القيام بثلاث وعشرين ركعة بما فيها الوتر.

وقد جرى العمل بذلك فى المدينة وفى مكة. ثم صاروا يصلونها فى المدينة ستًا وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث. وقال مالك رضى الله عنه: الأمر عندنا، بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين.

وليس فى شىء من ذلك ضيق. ولذلك فمن صلى إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة، أو ثلاثا وعشرين، أو ستا وثلاثين، أو تسعا وثلاثين، فلا بأس. بشرط أن تكون الصلاة مستوفاة الشروط.

قال الشوكانى فى نيل الأوطار: فقصر الصلاة المسماة بالتراويح، على عدد معين وتخصيصها بقراءة مخصوصة لم يرد به سنة.

وورد فى الصحيح أنهم كانوا يتوكأون على العصى لطول القيام. وكانوا فى بعض الليالى يخافون أن يفوتهم الفلاح «السحور».

وقد رجح الحافظ ابن حجر فى فتح البارى أنهم كانوا إذا أطالوا القراءة، أنقصوا عدد الركعات، وإذا خففوا القراءة أكثروا الركعات.

وفى بلاد المغرب يصلون عشرين ركعة، يقسمونها قسمين: عشراً فى أول الليل وعشراً فى آخر الليل، ثم يوترون. فمن أراد القيام أول الليل حضر الصلاة الأولى ومن أراد القيام فى آخر الليل حضر الصلاة فى السحر. ومن أرادهما حضرهما معا.

وقد حضرت ذلك فى زاوية الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه فى فاس، وكانوا يختمون القرآن كله فى صلاة القيام. كما كانوا يقرأون القرآن كله فى قيام ليلة السابع والعشرين، يتناوب الأئمة فيبدأ الثانى من حيث انتهى الأول.

(س) وماذا عن ليلة القدر ؟ ولماذا لم تحددها السنة؟ ولماذا اعتاد الناس على إحيائها ليلة السابع والعشرين من رمضان؟ وكيف يكون قيامها؟ وما معنى نزول القرآن الكريم فى هذه الليلة ؟

(ج) نزل القرآن الكريم، فى العشر الأواخر من رمضان، كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر).

فنزل القرآن جملة واحدة فى رمضان، إلى بيت العزة فى السماء الدنيا. ثم نزل مفرقا بعد ذلك، بالوحى على رسول الله ﷺ، وابتدأ نزوله فى شهر رمضان كذلك.

وقد رغَّب النبى ﷺ فى التماس ليلة القدر، والحض على قيامها.

وعن عائشة رضى الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهد فى رمضان ما لا يجتهد فى غيره، وفى العشر الآخر ما لا يجتهد فى غيره، وإذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر. ويشمل ذلك كثرة الاجتهاد، واعتزال النساء، إقبالا على الاجتهاد فى العبادة، والتوجه والإخبات لله عز وجل.

وعن مالك رحمه الله، أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: إن رسول الله ﷺ، أُرى أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته، ألا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم، فأعطاه الله ليلة القدر، خيرًا من ألف شهر.

ولم تحدد فى السنة ليلة القدر، حتى لا تهجر بقية الليالى.

وأما قيام ليلة السابع والعشرين. فعن أُبيّ بن كعب، قيل له إن ابن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر. فقال: والله الذى لا إله إلا هو، إنها لفى رمضان - يحلف ولا يستثنى- والله إنى لأعلم أى ليلة هى. هى الليلة التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها هى ليلة سبع وعشرين. وأمارتها أن تصبح الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها. رواه مسلم وأبو داود والترمذى. وحلف أُبيّ قال: والله لقد علم ابن مسعود أنها فى رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين، ولكن كره أن يخبركم فتتكلوا.

وقد ورد فى الصحيح أنها كانت فى بعض السنوات فى ليلة إحدى وعشرين. فالذى يظهر أنها كانت فى تلك السنة التى تحدث عنها أُبيّ بن كعب ليلة سبع وعشرين. ولذلك قال المحققون من العلماء إنها تنتقل فى ليالى الوتر من العشر الأواخر. وقد تكون فى العشر الأواسط. حيث ورد عن بعض الصحابة أنه لكل سنة ليلة القدر، وممكن ليلة سبع وعشرين من تلك السنة.

وإحياؤها: أقل ما يحصل به، أن يكون بصلاة العشاء والفجر فى جماعة. ويسن إحياؤها بقيام شهر رمضان فى جماعة كما فعل النبى ﷺ وأصحابه من بعده، بأى عدد من الصلوات، بإحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، أو ثلاث وعشرين. وقراءة القرآن، وذكر الله عز وجل، وصلة الرحم، والصدقة. فقد كان ﷺ كالريح المرسلة فى الجود.

(س) ما حكم زكاة الفطر، وعلى من تجب، ولمن تصرف، وما مقدارها، وما وقتها وهل إذا فات وقتها ولم يخرجها الصائم يمكن إخراجها قضاء ؟

(ج) فرضت زكاة الفطر فى رمضان فى السنة الثانية للهجرة.

وحيث إن من حكمة الصيام تهذيب النفس، وإحياء الرحمة فى القلوب، والمبادرة إلى فعل الخير، أوجب الله عز وجل أن يمد المسلمون يد المعونة لبعضهم، رحمة وتعاونا بينهم.

وعن ابن عباس قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات. رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم، وصححه على شرط البخارى وأقره الذهبى.

وعن ابن عمر: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأن تؤدى قبل خروج الناس إلى المصلى». للستة والبخارى.

وتجب بغروب شمس آخر يوم من شهر رمضان.

وهى واجبة على كل مسلم قادر عليها سواء كانت موجودة عنده أو يمكنه اقتراضها إذا كان يرجو الوفاء، بشرط أن تكون زائدة على قوته وقوت جميع من تلزمه نفقته عن يوم العيد وليلته، ويجب أن يخرجها الشخص عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقته من الأقارب، وهم: الوالدان، والأولاد الذكور الذين لا مال لهم إلا أن يكونوا بالغين قادرين على الكسب، والإناث الفقراء أيضا إلى أن يدخل الزوج بهن والزوجة وإن كانت ذات مال، وزوجة والده الفقير، والخدم، وهى عامة الوجوب، يستوى فيها الأمير والفقير الذى لايملك إلا الزكاة مع نفقته فى يوم العيد وليلته، ومن تلزمه نفقته.

ويسن عند الإمام أحمد أن يخرج عن الجنين الذى فى بطن زوجته، واشترط الإمام أبو حنيفة أن يملك نصابا كاملا وقدره عشرون مثقالا من الذهب، أو مائتا درهم من الفضة. أ هـ.

ويجوز أن يعطى الفقراء بعضهم بعضا.

أما مقدارها فصاع عن كل شخص وهو قدح وثلث بالكيل المصرى. فتكفى الكيلة عن ستة أشخاص عند مالك، ويجب إخراجها من غالب قوت البلد.

وعند الحنفية: الكيلة المصرية تكفى عن سبعة أشخاص إذا زيد عليها سدس قدح.

وعند الشافعى قدحان بالكيل المصرى، فالكيلة تكفى عن أربعة أشخاص.

وفى بعض البلاد يمكنهم الانتفاع بما يخرج من الزكاة من الحب كالقمح والذرة والشعير، كالقرى والبوادى، وأما فى المدن، فالأفضل لهم أن تعطى لهم قيمة الحب نقودًا لأنها أيسر لهم فى الحصول على حاجتهم من طعام وغيره وبهذا قال الأحناف، والمالكية.

وعند الحنابلة صاعًا كالشافعية.

وتصرف للأصناف الثمانية المذكورة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (التوبة٦٠)، قال الإمام أبو حنيفة الفقير هو الذى يملك أقل من النصاب من الذهب والفضة، وقد تقدم تقديره، والمسكين هو الذى لا يملك شيئاً، والعاملون عليها هم الذين يحصلون الزكاة، فيأخذون أجر عملهم، سواء كانوا أغنياء أو فقراء، والمؤلفة قلوبهم هم كفار يعطون منها ترغيبا فى الإسلام أو مسلمون حديثو عهد بالإسلام يعطون منها ليتمكن الإيمان فى قلوبهم.

وفى الرقاب: هم أرقاء المسلمين، يشترون من الزكاة ويعتقون، وهذا يبين مقدار حرص الإسلام على تحرير الرقيق.

والغارمين: الغارم هو المدين الذى لا يملك ما يسد به دينه، إذا كان تداينه بما يحل ولا يحرم.

والمجاهد: يعطى من الزكاة ولو غنيا، ويلحق به الجاسوس ولو كان كافراً، ويشترى من الزكاة سلاح وجميع ما يلزم للجهاد، وفكاك أسرى المسلمين من الجهاد.

وابن السبيل: هو الغريب المحتاج لما يوصله لوطنه.

أما وقتها فتجب بانتهاء آخر جزء من رمضان، ويسن إخراجها أول أيام عيد الفطر قبل صلاة العيد، ويكره إخراجها بعد صلاة العيد إلى الغروب إلا لعذر، كانتظار فقير قريب ونحوه، ويحرم تأخيرها إلى ما بعد الغروب.

ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ليستعد من تعطى له لحاجات للعيد فإن المقصود أن يستغنوا عن السؤال، وأن يشترك الفقراء والأغنياء فى مباهج عيد المسلمين. فإن رسول الله ﷺ قال: «أغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم».

وقال الإمام الشافعى يجوز إخراجها من أول يوم من رمضان.

فإن أخرها عن يوم العيد فهى دين فى ذمته يجب عليه أن يقضيها عن نفسه وعمن تلزمه نفقته، ولا تسقط بمضى يوم العيد.

(س)عرفنا أن صلاة العيد فيما زاد على فرض الصلوات الخمس. فما كيفيتها وحكم الجماعة فيها وهل تقضى وما وقت قضائها ؟

(ج) شرعت صلاة العيد فى السنة الأولى من الهجرة، روى الإمام أبو داود عن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد أبدلكما خيراً منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر.

وصلاة العيد ركعتان كالنوافل. سوى أنه يسن فى الركعة الأولى بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة، أن يكبر المصلى ست تكبيرات غير تكبيرة

الإحرام. وفى الركعة الثانية بعد تكبيرة القيام وقبل القراءة خمس تكبيرات، ويسن للإمام أن يخطب بعد صلاة العيد خطبتين يعلم الناس فيهما أحكام زكاة الفطر فى عيد الفطر وأحكام الأضحية والتكبير فى أيام العيد الأضحى.

والخطبتان بعد الصلاة ويسن افتتاحهما بالتكبير ويكبر المستمع عند سماع تكبير الخطيب، ويندب إحياء ليلتى العيدين بالذكر وقراءة القرآن الكريم والصلاة لأن من أحيا ليلتى الفطر والأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب، ويندب الغسل للعيدين والتطيب والتزين بأحسن ما يجد من الثياب.

وقد أمر رسول الله ﷺ بخروج الناس إلى المصلى، حتى تخرج البكر من خدرها، وتخرج الحيَّض، فيكبرن بتكبير المسلمين ويشتركن فى دعائهم يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته. وليعتزل الحيض المصلى يشهدن الخير ودعوة المسلمين، قالت أم عطية راوية الحديث. قلت: يارسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب. قال: لتلبسها أختها من جلبابها، وفى هذا مظهر التعاون والابتهاج والفرح بنعمة الإسلام وعزته. وقد ثبت أن أبا بكر دخل بيت النبى ﷺ وفتيات من الأنصار يغنين بشجاعة أهلهن فى حرب يوم بعاث، فأراد منعهن. فقال رسول الله ﷺ: دعهن فإن اليوم يوم عيد. وكانت الحبشة يلعبون بالدرق فى المسجد.

فإذا كانت الأمم تلهو بالمحرمات من خمر وغيره فى يوم العيد، فالأمة الإسلامية ليس عندها فى العيد إلا اللهو المباح النافع البرىء عن المحرمات.

وعن أبى سعيد الخدرى قال: كان النبى ﷺ أول شىء يبدأ به الصلاة يوم الفطر والأضحى، ثم يقوم مقابل الناس وهم فى صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، وإن كان يريد أن يقطع بعثا أو يأمر بشىء، أمر به ثم ينصرف.

وأما حكم الجماعة فى صلاة العيد فهو شرط لصحتها كالجمعة عند أبى حنيفة، فإن فاتته مع الإمام فلا يطالب بقضائها، وإن أحب قضاءها، فمنفرداً ويصلى أربع ركعات من غير التكبيرات الزوائد. وقال الحنابلة، يسن لمن فاتته مع الإمام أن يقضيها فى أى وقت شاء، وهى أداء قبل الزوال وقضاء بعده.

وعند المالكية يصليها قبل الزوال.

صوم ست من شوال

(س) هل صوم الستة أيام الواردة فى السنة فى شهر شوال يكون بعد العيد مباشرة، أم فى طوال شهر شوال ؟

(ج) قال الإمام مالك: إن قوله- ﷺ- فيما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى أيوب : «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال؛ كان كصيام الدهر». إن ذلك فى جميع شهر شوال خشية أن يعتقد الناس وجوبها، ومعنى الحديث: أن المؤمن إذا عمل حسنة أعطاه الله عشر أمثالها، فشهر رمضان ثلاثون يوما كل يوم بعشرة أيام فهى ثلاثمائة، يوم وإن كان الشهر تسعة وعشرين يوما لأنه ينوى صيامه كان تاما أو لم يتم فله أجر نيته، والستة أيام بستين يوما. فذلك عدد أيام السنة كلها تفضلا من الكريم المعطى سبحانه وتعالى. واستحب الإمام الشافعى أن يكون صيام الستة أيام بعد العيد مباشرة متوالية.

ننتقل إلى الكلام عن الحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام.

الحج مؤتمر سنوى للإسلام - أول بيت وضع لتوحيد الله وفيه قامت الأسرة المسلمة - منزلة الكعبة قبل الإسلام.

(س) لماذا فرض الحج ؟

(ج) قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً . . ﴾ (آل عمران: ٩٧)، وقد جعل الله عز وجل الصلوات الخمس فى الجماعة فى المسجد كمؤتمر للحى، يجتمع فيه أهل الحى فيتعاهد بعضهم بعضا، ويتعاونون على الخير، ويسأل بعضهم بعضا عن الضعيف والمريض وذوى الحاجات. ويكونون يداً واحدة على إسداء المعونة لمن يحتاج إلى المعونة. والجمعة كمؤتمر أكبر من مؤتمر الحى، حيث يسمعون العظة العامة الأسبوعية، ويتعارفون فى دائرة أوسع من دائرة الحى. وفى العيد مؤتمر أوسع. وفى الحج المؤتمر العالمى للمسلمين من أقطار الأرض حيث يرسل كل إقليم وفداً إلى بيت الله الحرام، يمثل قومه ويمثل الإسلام، ويعلن شعائر الله عز وجل حيث لا إله إلا الله. ولا كبير إلا الله، وفى هذه البقعة المقدسة تجتمع وفود المسلمين تلبية واستجابة لدعوة الله عز وجل، وطاعة لأمره بالحج إلى أول بيت وضع لتوحيد الله سبحانه وتعالى، وإفراده بالعبادة والطاعة.

والحج رياضة روحية ومران عملى على تحمل المشقة فى سبيل الله، وترك الأهل والغربة عن الأوطان. وفى هذا الموضع قامت الأسرة المسلمة : الأب المسلم الكامل إبراهيم عليه السلام، والزوجة الصالحة الراضية هاجر، والابن الصالح إسماعيل، وزوجة الابن الصالحة زوجة إسماعيل الثانية الراضية بما قسم الله لها، الأمينة على سر زوجها وبيتها، فلا تبرم ولا شكوى مهما كان العيش ضيقا، وحسبها أنها فى طاعة الله عز وجل. آمنت بالله، ووفت بدين الله ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام: ٩٠)

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة : ١٣٥).

(س) ولماذا اقترن فرض الحج بهذا البيت الحرام ؟

(ج) قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .
(آل: عمران ٩٦)

فهو أول بيت وضع لتوحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وما من بقعة فى الأرض إلا وسفك فيها دم ظلما إلا هذه البقعة، فإنها طهرت عن سفك الدماء المظلومة. وقد كان الناس فى الجاهلية يتحرجون من القتال فيه. فكان القاتل يطوف مع عدوه جنبا إلى جنب لا يمسه بسوء احتراما لهذا الحرم المقدس. فكان مبرأ من الظلم فى الجاهلية والإسلام.

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ .. ﴾
(القصص: ٥٧)

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ . (قريش: ١-٤)

(س) يفهم من هذا أن البيت الحرام كان مقدساً من قبل ظهور الإسلام ؟

(ج) كان الحج فرضا فى شريعة سيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى لسيدنا إبراهيم: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج: ٢٧) وقد حج هذه البقعة قبل إبراهيم عليه السلام هود وصالح كما روى عن النبى ﷺ.

وقد كانت الكعبة بيت الله الحرام قبل الإسلام بنحو ٢٧ قرنا ذات منزلة سامية عند العرب بأجمعهم، وتجاوزت مكانتها جزيرة العرب إلى بلاد الفرس والهند، وإلى قدماء المصريين، فأجمع الناس على اختلاف

دياناتهم على احترامها، واتخذها كل منهم معبداً يعبد الله فيه على حسب دينه ومذهبه، وبلغ من سمو مكانتها فى نفوسهم أن جعلوا لها حرما من جميع جوانبها واسع الأطراف بعيد الأكناف، لا يدخله الإنسان إلا وهو محرم، وكل من دخله صار آمنا. قال تعالى محتجا على أهل مكة: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ.. ﴾ (العنكبوت: ٦٧).

ولم يقف احترام هذا الحرم على تأمين الإنسان بل تناول الحيوان والنبات، والناس يحجون إليها من جميع أنحاء بلاد العرب وغيرها.

أظهر ما تتميز به عبادة الحج - معنى الاستطاعة فى الحج

تكلمنا عن الحج وأنه المؤتمر العام السنوى للإسلام والمسلمين، وأنه قامت فى تلك البقعة الأسرة المسلمة، أسرة إبراهيم عليه السلام. وأن تلك البقعة طهرت من سفك الدماء المظلومة، فلم يسفك فيها دم ظلما لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام؛ لأنها كانت مقدسة من قبل الإسلام.

(س) ونرجو أن نعرف الآن ما أظهر ما تتميز به عبادة المسلمين فى الحج ؟

(ج) الحج عبادة تربط الشعوب الإسلامية فى ساحة الإسلام ومهد الإسلام، على صعيد واحد مقدس. حيث لا رفث ولا فسوق ولا جدال. وفى هذه العبادة التى يتجرد فيها العبد المؤمن من طباع الأثرة، ويتحلى بخلق الإيثار والعفو والصبر والسخاء، وتتجلى المساواة بين الإنسان والإنسان. فالأمير والفقير، والوزير والمسكين، سواء، فى الطواف بالبيت الحرام، وفى السعى بين الصفا والمروة، وفى جميع شعائر الحج.

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ

أَلِيمٍ﴾ (الحج: ٢٥)، الكل ملتجئ إلى الله، يبكى ذنوبه، ويندم على آثامه، ويستقيل عثراته وغدراته، مخبتا خاشعا لله عز وجل، يلتمس القربى من الله، متوسلا إلى الله عز وجل بدعوات إخوانه ورفقائه، لأنه يعرف عيوب نفسه، طالبا من الله عز وجل المغفرة والعفو والعافية. وهى مع ذلك عبادة فيها المنافع العامة، فإن الاتصال بين أفراد الشعوب والتعارف، يجعل الأمة الإسلامية أمة واحدة، ويحقق الرابطة الإسلامية بينها. فيتبادلون المنافع الاقتصادية والعلمية. ويضعون خطة موحدة تحقق التعاون بينهم فى أمور الدين والدنيا. فيقوم بينهم تحالف وتعاون على أسس النظم الاقتصادية والسياسية والدفاعية والصحية، ونشر السلام العام بين الإنسانية جمعاء، وتتحقق العدالة وتبادل الآراء والشورى. حيث يتكاتف الجميع فى أهداف موحدة، لما يأمر به دين الإسلام من العدل والإحسان والتسامح فى أقطار العالم جميعا.

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ..﴾ (النحل: ٩٠)، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣)، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ..﴾ (النور: ٢٢)، ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ..﴾ (المائدة:٤٢). ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى..﴾ (الأنعام: ١٥٢).

أما جهاد المسلمين فهو دفاع عن الحق وأهله. قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠).

(س) على من يجب الحج ؟ وما معنى الاستطاعة فى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران : ٩٧) ؟

(ج) فرض الحج على كل مسلم ومسلمة، بالغ، عاقل، مستطيع. وقدر الاستطاعة أن يملك الزاد والراحلة ونفقة أهله ذهابا وإيابا. وقد روى عنه ﷺ: «من ملك الزاد والراحلة فلم يحج؛ فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانيا» رواه الترمذى، عن على رضى الله عنه. والزاد ما يكفيه من نفقة خلال سفره فى الحج . والراحلة ما يحمله فى البر أو الجو أو البحر.

(س) وهل من ملك الزاد والراحلة وكان مستطيعا يجب عليه الحج فورا أو له أن يؤجل الحج إلى زمن غير السنة التى هو فيها ؟

(ج) ذهب الجمهور إلى أن الحج فرض على الفور على المستطيع فيأثم من يؤخره عن زمن الاستطاعة، لأنه لا يأمن الفوت أو الموت. فقد يفتقر الغنى، وقد يصيبه المرض، وقد تعوقه العوائق، والحياة غير مملوكة. والأجل غير معروف، فمن توفرت له شروط وجوبه، ثم أخره عن أول عام استطاع فيه يكون آثما بالتأخير، لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (آل عمران: ٩٧)، وقد روى عنه ﷺ: «من أراد الحج فليتعجل» رواه الإمام أحمد، وفى سنده أبو إسرائيل.

وقال الشافعية: هو فرض على التراخي، فمن أخره عن أول عام قدر فيه إلى عام آخر، فلا يكون عاصيا بالتأخير. وذلك بشرطين: أولهما: ألا يخاف فواته، إما لكبر سنه أو عجزه عن الوصول أو لضياع ماله. فإن خاف فواته لشىء من ذلك وجب عليه أن يفعله فورا ويكون عاصيا بالتأخير. الشرط الثانى: أن يعقد العزم على الحج فيما بعد، وذلك لأن النبى ﷺ أمَّر أبا بكر- رضى الله عنه على الحج وتخلف ﷺ بالمدينة، وهو غير محارب ولا مشغول بشىء. وتخلف معه أكثر المسلمين القادرين على الحج. وقد فرض الحج سنة ست من الهجرة وحج النبى ﷺ حجة الوداع سنة عشر.

(س) هل يعتبر مستطيعا للحج من يمكنه الاقتراض على أن يسدد القرض على أقساط ؟

(ج) هذا الذى لا يملك مقدار نفقة الحج لا يعتبر مستطيعا ولا يلزم بالحج، فإن كان يستطيع الاقتراض ويرى أنه يستطيع أن يسدد هذا القرض، ووجد من يقرضه، فإنه لا يلزم بالحج، لأنه قد يدركه الموت قبل أن يسدد دينه، وربما ضاع المال على من أقرضه. أما إذا اقترض أو سافر للحج وقد

نوى قضاء دينه، وهو مستطيع بالفعل أن يسدد هذا الدين على أقساط موزعة، فله ذلك وله أجر الحج، ويكون ثوابه مضاعفا، لأنه اجتهد فى أداء الفرض واحتمل مشقة الاقتراض.

الحج أو الزواج أولا - حج الزوجة - الحج قبل البلوغ
أثر الحج فى تقويم الأخلاق

(س) رجل يملك الزاد والراحلة وهو أعزب يريد الزواج، وليس معه ما يكفيه للزواج والحج معا، فهل يجب عليه الحج أولا أم يتزوج أولا ؟

(ج) إن كان لا يخشى على نفسه أن يقع فى الحرام، يبدأ بالحج. فإن الزواج سنة والحج فرض. وإنما يكون الزواج واجبا إذا خشى على نفسه الوقوع فى الحرام. وفى هذه الحالة يبدأ بالزواج، قال ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة (القدرة على شئون الزواج) فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». (أى: قاطع للشاب عن الوقوع فى الحرام لأن الصوم يخفف من الشهوات).

(س) هل يجب على الزوج المستطيع إحجاج زوجته وأولاده من ماله ؟

(ج) حيث إن الله عز وجل فرض الحج على المستطيع، ولم يفرضه على غير المستطيع، فالزوجة إن كان لها مال تستطيع أن تحج منه، وجب عليها الحج، وإلا فليس بواجب عليها. فإن تبرع الزوج بماله ووهبها إياه أصبحت مالكة له ووجب عليها الحج. وليس الزوج بملزم بإحجاج زوجته، فإن تطوع فله الثواب، وكذلك أولاده.

(س) هل يجب على الزوجة المستطيعة أو المتبرع لها زوجها ، أن تحج بمفردها إذا لم تجد زوجا أو محرما تحج معه (المحرم هو الذى لا يحل له زواجها) ؟

(ج) اشترط جمهور العلماء سفر المرأة للحج مع الزوج أو المحرم، لقوله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر فوق ثلاث إلا ومعها محرم»

وذهب بعض الأئمة إلى أن المراد من الحديث أن تكون آمنة على نفسها ومالها. فإذا وجد هذا الأمن فى رفقة مأمونة، كنساء صالحات ومعهن من المحارم مَن يحميهن فيجب عليها الحج. فالرفقة المأمونة تقوم مقام المحرم عند المالكية فى الحج.

(س) ذكرتم أن من شروط الحج البلوغ ، فهل لو حج صبى قبل البلوغ ، تسقط عنه الفريضة ، ويثاب على حجه ؟

(ج) إذا حج الصبى فله ثواب الحج، وتكون حجته نافلة، ولا تسقط عنه حجة الإسلام إذا بلغ وتمكن من استطاعته وجب عليه أن يؤدى فريضة الحج.

روى الطبرانى في الأوسط، عن ابن عباس- رضى الله عنهما- عن النبى ﷺ أنه قال: «أيما صبى حج ثم بلغ فعليه حجة أخرى».

ورفعت امرأة فى الحج ولدها، وقالت يا رسول الله، ألهذا حج ؟ قال: «نعم، ولك أجر». فتعد حجة؛ تطوعا لهذا الصبى.

(س) إذا وجب الحج على شخص وتوفى ولم يحج ، فهل ينفعه أن يحج أحد عنه ؟ وهل يجب على ورثته أن يحجوا عنه من ماله ؟

(ج) نعم ينفع هذا الشخص الذى وجب عليه الحج وتوفى ولم يحج أن يحج غيره عنه، كما يجب على ورثته أن يحجوا عنه من ماله، وتسقط الفريضة عنه بهذا الحج.

(س) هل للحج أثر فى تقويم ما انحرف من الأخلاق كسائر العبادات ؟

(ج) إذا كانت الغرائز تنشأ فى الإنسان بتأثير البيئة التى ترعرع فيها وتربى،

فللبيئة الصالحة أثر عظيم فى استقامة الأخلاق. وشرعت العبادات لتقويم ما اعوج من أخلاق العباد، والحج هو أبلغ العبادات فى تقويم ما انحرف من الأخلاق. ذلك لأنه ينتزع المرء من البيئة التى تعودها، ومن الوسط الذى ساعده على الانحراف، ويضعه فى بيئة غير بيئته، بيئة كلها تسعى إلى الخير، وتعمل للخير، طبيعة أو تكلفا. وتوالى الطاعات مؤثر فى القلب، مؤثر فى النفس، وخصوصا فى الحج حيث يندمج الإنسان فى بيئة كلها عبادة. وشعار الحج التلبية «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». وهذا الشعار يلازمه الحاج مع الصلوات، وعند ملاقاة الحجاج بعضهم بعضا، وعند تغير الأحوال من ركوب ونزول، وإذا رأى زينة من زينة الدنيا، وعلى كل حال من الأحوال.

والطواف حول الكعبة، والسعى بين الصفا والمروة، وكذلك الوقوف بعرفة مع هذه الألوف الكثيرة من الحجاج، وكلهم يتوجهون إلى الله بالتلبية والدعاء فيستولى على الحاج حال يذهل فيه عن جميع العلائق من أهل ومال وولد، ويطلب رضوان الله. وقد جمع الله فى الحج سائر العبادات من صلاة وصيام وصدقة وذكر. ولذلك كثيرا ما تتغير طباع الحاج حتى يرجع وحاله خير مما كان عليه قبل الحج. وهذه ذكرى تطبع على النفس ولها تغلغل فى أعماق القلوب، بصورة لا تنسى، فلها أثرها الملازم للحاج طول حياته.

وعلامة قبول الحج، كأثر الدواء فى المريض. وهو أن يرجع وقد تغيرت طباعه وتبدلت أخلاقه. فإن كان مقبلا على الدنيا، مهملا فى دينه، رجع وأكبر همه دينه، يؤثره على دنياه، وإن كان لا ينسى نصيبه من الدنيا.

وإن كان شحيحا حريصا، لا يبالى أن ينتقص ذلك من مروءته، عاد كريما سخيا يسارع إلى الخيرات والمكارم والمروءة لوجه الله عز وجل.

وإن كان عاقا قاطعا للرحم، عاد بارا وصولا للرحم رحيما. وسر على ذلك فى محاسن الأخلاق.

النية عند الحج - معنى التلبية
أركان الحج والعمرة - معنى الإحرام

(س) ماذا ينوى المرء عند رغبته فى تأدية الحج ؟

(ج) ينوى الحاج الاستجابة لأمر الله تعالى - لقوله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (آل عمران: ٩٧). والاقتداء برسول الله ﷺ لقوله ﷺ: «خذوا عنى مناسككم». ويستحضر أن ربه الذى أنعم عليه بالحياة والسمع والبصر والعقل والعلم، دعاه للوفود عليه، فى بيته الذى هو أول بيت بنى فى الأرض لعبادة الله وتوحيده وتنزيهه، وأنه قد أجاب هذه الدعوة، وأن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كانت تحج هذا البيت - قبل سيدنا إبراهيم -عليه السلام- كما ورد فى الحديث.

(س) إن شعار الحج التلبية «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك» فما معنى هذه التلبية ؟

(ج) معنى لبيك: أجبتك مسرعاً إلى طاعتك، لبيك لا شريك لك، فلا يستحق الطاعة إلا أنت، ولا يستحق العبادة إلا أنت وحدك، فإنك سبحانك أنت المنعم وحدك. فكما أنعمت وحدك بلا شريك، فيجب على العباد أن يعبدوك وحدك بلا شريك، وأن يحمدوك وحدك بلا شريك.

وليس أشد سفها من أن ينعم عليه منعم فيترك شكره، ثم يوجه حمده وشكره إلى شجر أو بحر أو حجر أو حيوان أو إنسان، لا يملك شيئا لنفسه، وأولى ألا يملك لغيره، فيترك المنعم ويشكر من لا نعمة له.

والملك: له وحده. والعابد إن كان يعبد ويعظم ذا القوة والسلطان، فلا قوة ولا سلطان إلا لله سبحانه وحده، والكل عبد؛ شرف رتبته الذل

والخضوع لربه، وإن كان يعبد ابتغاء النفع، فالله سبحانه هو الغنى النافع الذى لا حد لخزائن فضله وجوده وكرمه.

فهذا الشعار هو الذى ينصبغ الحاج بمدلوله، فيكون ملتجئا إلى الله وحده، عابدا لله وحده، مراقبا لله وحده، راغبا لله وحده، راهبا لله وحده، راجيا فى الله وحده، متوكلا على الله وحده.

(س) يقول الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٦) ، فما هى العمرة وما الفرق بينها وبين الحج ؟ وهل هى واجبة كالحج ؟

(ج) أركان الحج خمسة: الإحرام - الوقوف بعرفة - الطواف حول البيت الحرام - السعى بين الصفا والمروة - الحلق أو التقصير. وللحج وقت خاص ومكان خاص.

والعمرة -معناها: عمارة الحرم بالعبادة من طواف وسعى وصلاة وذكر لله عز وجل.

ووقت الحج: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة. وتشترك العمرة مع الحج فى الإحرام - والطواف - والسعى - والحلق أو التقصير. ووقتها طوال العام، ومكانها مكان الحج، غير أن لابد فيه من الوقوف بعرفة، قال ﷺ: «الحج عرفة». وأما العمرة فليس فيها الوقوف بعرفة.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن العمرة واجبة، وبعضهم يرى أنها سنة. وظاهر القرآن سوى بينها وبين الحج قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٦) .

(س) ذكرتم أن أركان الحج خمسة أولها الإحرام، فما معنى الإحرام ؟

(ج) الإحرام بمنزلة النية للصلاة، فكما أن الإنسان إذا نوى الصلاة، وكبر تكبيرة الإحرام، فقد دخل فى الصلاة، وأصبح كأنما هو بين يدى ربه عز وجل يناجيه ويخاطبه. فكذلك الحاج يقول:

نويت الحج، وأحرمت به لله تعالى، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد، والنعمة لك والملك، لا شريك لك. وبهذه النية دخل فى مناسك الحج وتلبس به، وأصبح فى عبادة مستمرة، وكأنما هو فى حضرة ربه، يناجيه ويخاطبه.

ويحرم عليه فى هذه الحالة لبس الملابس المحيطة بالجسم أو بعضو من أعضاء الجسم، بخياطة أو صياغة كالخاتم، أو ما فى معنى ذلك.

ولما كان الحاج يتذكر حال خروجه من الدنيا، وأنه سيعرض على ربه تبارك وتعالى، فالمناسب لهذه الحالة أن يلبس ثياب الميت، إزاراً ورداء. والإزار ما يلف حول الوسط ساتراً لأسفل الجسد، والرداء ما يستر أعلى الجسد، ويبقى بهذا اللباس حتى يتمم مناسك الحج أو العمرة. فلا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوبا مسه ورس وه لاعفران»وهى «نوع من الطيب لغة» وه لايلبس الخفين إلا الايجد نعلين فليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين. وأما النساء فيلبسن فى إحرامهن الملابس العادية الساترة ما عدا الوجه والكفين.

ويحرم الترفه والطيب على الرجال والنساء، لأن المقصود فى الحج ترويض النفس على التقشف، وتحمل ما يتحمله الفقراء الذين لا يجدون طيبا ولا ترفها. ولا يقص المحرم أظفارا ولا يزيل شعرا ولا ينتف ولا يقص ولا يحلق، كما يحرم عليه الجماع ومقدماته لقوله تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٧)، ويحرم عليه صيد البر لقوله تعالى: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ (المائدة: ٩٦)، كما يحرم عليه قطع حشيش الحرم. ويبقى المحرم على هذه الحال حتى يتمم مناسك الحج والعمرة.

وقت الإحرام للحج والعمرة ومكانه

الإفراد - القران - التمتع

(س) متى وأين يحرم المرء بالحج أو العمرة ؟

(ج) أما وقت الإحرام بالحج فيبدأ من أول شوال إلى التاسع من ذى الحجة وهى أشهر الحج. فعن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال: من السنة ألا يحرم بالحج إلا فى أشهر الحج. رواه البخارى.

وقد وقّت النبى ﷺ أمكنة لكل جهة من الجهات، لا يجاوزها من يريد الحج أو العمرة إلا محرما.

فلأهل المدينة: ذا الحليفة، وهو المكان المسمى الآن: بيار على.

ولأهل الشام ومصر: الجحفة، وهى قرية طمسها السيل قرب رابغ.

ولأهل نجد: مكان يقال له: قرن المنازل.

ولأهل اليمن: يلملم، وهو مكان جنوب مكة.

ولأهل العراق: مكان يسمى: ذات عرق.

فهذه الأمكنة لأهلهن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ميقات مكانى لمن يريد الحج أو العمرة. لا يجاوزها إلا محرما.

(س) وهل يبقى المحرم بلباس الإحرام مقيدا بكل ما ذكرتم طول مدة إقامته بمكة ؟

(ج) هذا يرجع إلى الصورة التى أحرم عليها وألزم بها نفسه. فإن نوى عند إحرامه الحج وحده- وهو ما يسمى بالإفراد- أو نوى عند الإحرام أن يجمع بين الحج والعمرة معا- وهو ما يسمى بالقران- ففى هاتين الحالتين يبقى بلباس الإحرام إلى أن يتحلل من الإحرام فى منى بعد الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة.

وإن كان أحرم بالعمرة وحدها- وهو ما يسمى بالتمتع - فإنه بعد دخوله مكة يطوف بالكعبة طواف العمرة، ثم يسعى بين الصفا والمروة سعى العمرة، ويحلق بعد ذلك شعر رأسه أو يقصره. ثم يتحلل من لباس الإحرام فيلبس ملابسه العادية ويعود حلالا يجوز له كل ما امتنع عنه وهو محرم. ويبقى حلالا الحل كله إلى اليوم الثامن من ذى الحجة ويسمى (يوم التروية) فيحرم إحراما جديدا بنية الحج. ثم يؤدى مناسك الحج وهى الإحرام والوقوف بعرفة، والطواف، والسعى، ثم يحلق أو يقصر وقد عاد حلالا. ويجب عليه فى مقابل استمتاعه بما هو حل له بين العمرة والحج أن يذبح شاة فى منى أو فى مكة، فمن لم يجد فصيام عشرة أيام ثلاثة منها فى الحج، لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ (البقرة : ١٩٦)، والهدى هو الذبيحة التى تذبح فى الحرم.

وكذلك القارن الذى جمع فى الإحرام بين الحج والعمرة فى أشهر الحج، يجب عليه أن يذبح شاة كالمحرم بالعمرة فقط قبل الحج لأن المفرد بالحج يحرم مرتين من خارج الحرم: مرة بنية الحج، ومرة بنية العمرة بعد انتهاء الحج. أما القارن فإنه يحرم مرة واحدة عند قدومه من ميقاته الذى خصص له خارج الحرم.

(س) ما هو شعور الحاج أو المعتمر وهو بلباس الإحرام ؟

(ج) فى الإحرام يشهد العبد تجرده من الدنيا عند انتقاله منها، وأنه لبس الكفن، وترك الدنيا خلف ظهره، وتوجه إلى ربه، طالبا منه المغفرة والعفو، وأن يتفضل عليه بالرحمة والرضوان.

وكما أن من مر بالقبور لا يميز بين الأمير والحقير، فكذلك الحاج، كلٌّ يسأل ربه، ويطلب رحمته ومغفرته، ولا يرى لنفسه ميزة أو فضلا على

غيره من أهل الموقف الوافدين على بيت ربهم تبارك وتعالى، ولذلك لبس الكل لباسا واحدا هو صورة للكفن الذى يخرج به العبد من الدنيا.

وكما أن الميت فى قبره لا يبالى بمدح المادحين، ولا ذم الذامين، فكذلك الحاج همه نفسه. قال تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ.. ﴾ (البقرة: ١٩٧) . وإنما الوافد على ربه يتحلى بأمرين: الصبر، والعفو.

الصبر على ما يراه من مشقة، والعفو عما يصادفه مما يدعو إلى الغضب أو الجدال أو ما فوق ذلك، وإذا كان الجدال محرما عليه، فما فوقه أعظم حرمة.

قال ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق ؛ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

(س) هل الأفضل للحاج أن ينوى الإحرام بالحج فقط وهو الإفراد، أم بالحج والعمرة معا وهو ما يسمى بالقران، أو بالعمرة فقط وهو المسمى بالتمتع؟

(ج) أحرم رسول الله ﷺ وأصحابه بالحج إفراداً. وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها: ما كنا نعرف إلا الحج.

ثم جمع رسول الله ﷺ بين الحج والعمرة (القران)، فى نفس السنة، وذلك لأن العرب قبل الإسلام كانت ترى أن العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور، فأراد الله عز وجل أن يبين للناس جواز الاعتمار فى أشهر الحج.

ولما كان رسول الله ﷺ قد أحرم أولا بالحج وساق الهدى إلى البيت ضيافة لأهل الحرم، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ... ﴾ (البقرة:١٩٦). وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج: ٣٣).

لذلك ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن أفضل النسك ما فعله رسول الله ﷺ وهو أن يحرم بالحج والعمرة معا (القران).

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه ممن لم يسق الهدى، أن يتحلل من الحج ويجعلها عمرة. فاستعظم ذلك بعض القوم، لأنهم كانوا يرون العمرة والاستمتاع بالنساء والترفه من أفجر الفجور فى تلك الأشهر. وسألوا رسول الله ﷺ عندما أمرهم بالتحلل: «أى الحل» ؟ فقال ﷺ: الحل كله. وقال: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها عمرة». ولذلك قال الإمام أحمد: إن أفضل النسك العمرة أولا، ولذلك أجاز للمحرم بالحج إفراداً ولم يسق الهدى وللقارن الذى لم يسق الهدى كذلك، أجاز لهما أن يفسخ كل منهما الحج ويجعلها عمرة.

وقال مالك، والشافعى: إن جمع رسول الله ﷺ بين العمرة والحج كان لأنه قد علم أنه لا يحج بعد عامه هذا، كما صرح بذلك فى خطبة الوداع. وأراد أن يبطل عادة العرب فى تحريم الاعتمار فى أشهر الحج، فجمع بين الحج والعمرة، وأمر أصحابه ممن لم يسق الهدى بأن يفسخوا الحج إلى العمرة.

وقد ثبت عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن فسخ الحج إلى العمرة خاص بأصحاب رسول الله ﷺ وخاص بتلك السنة. وأعلم الناس بمناسك الحج أبو بكر وعمر، وكانا يريان أن الأفضل هو إفراد الحج وذلك لقوله تعالى:﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، وتمام الحج أن يفرد عن العمرة ويؤخر العمرة؛ لأن فى ذلك الإتيان بهما كاملتين لا ينقص منهما شىء. ولذلك رأى مالك والشافعى أن الأفضل إفراد الحج ثم الإتيان بالعمرة بعده.

وعلى أى حال فمن أتى بصورة من هذه الصور الثلاث؛ فهو على هدى من ربه، وعلى الله تبارك وتعالى القبول.

(س) ماذا على الحاج أو المعتمر لو تجاوز الميقات المكانى ولم يحرم وهل يكون آثما ؟

(ج) الإحرام هو نية الحج أو العمرة، أو هما معا، وهذا هو الركن، ويجب أن

يكون عند الميقات، فمن تجاوز الميقات من غير أن ينوى الإحرام سواء فى الحج أو العمرة يعد آثما، ويجب عليه أن ينوى الدخول فى النسك. ويلزمه دم، أقله شاة تذبح فى الحرم سواء فى الحج أو العمرة، ولا يفسد الحج. وأما لباس هيئة الإحرام فيلزم بتركه فدية، وهى: إما صيام ثلاثة أيام، أو صدقة بإطعام ستة مساكين من مساكين الحرم لكل مسكين نصف صاع، وهو معروف بمكة، أو نسك وهو ذبح شاة.

(س) بماذا يبدأ المحرم بالحج أو العمرة أو هما معا عند دخوله مكة ؟

(ج) عند دخول مكة يبدأ المحرم بالطواف بالبيت (الكعبة المشرفة) وعندما يرى الكعبة المشرفة يقول رافعا يديه: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا.

فإن كان محرما بالحج إفرادا طاف طواف القدوم، وسعى بين الصفا والمروة سعى الحج، ويبقى على إحرامه حتى يتم المناسك الواجبة: المبيت بالمزدلفة، والرمى، والإحلال بمنى، ثم طواف الإفاضة وهو ركن الحج، ويجوز تأخيره بعد أيام منى.

وإن كان محرما بالحج والعمرة معا- وهو القران - فقد قال الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وابن حنبل: يكفيه هذا الطواف للحج والعمرة. وقال الإمام أبو حنيفة: ينوى طواف العمرة عند قدومه مكة ويسعى لها، ويبقى على إحرامه كما هو حتى يقف بعرفة، ثم يؤدى باقى المناسك، ثم يطوف طواف الإفاضة وهو ركن الحج، ويسعى بعده سعى الحج.

وإن كان محرما بالعمرة وحدها قبل الحج؛ فيطوف عند دخول مكة طواف العمرة، ويسعى لها سعى العمرة، ثم يحلق رأسه أو يقصر وقد حل له كل شىء، ويظل حلالا حتى يحرم بالحج يوم التروية، وهو اليوم الثامن

من ذى الحجة، ويلبس ملابس الإحرام وهى شعار الحاج أو المعتمر. ويبقى على إحرامه هذا حتى يتمم مناسك الحج بعد الوقوف بعرفة، فيطوف طواف الإفاضة وهو ركن الحج، ويسعى بين الصفا والمروة سعى الحج، ويبقى عليه طواف الوداع.

(س) وما هى كيفية الطواف بالكعبة، والسعى بين الصفا والمروة ؟

(ج) الطواف بالبيت يبدأ بالحجر الأسود، فيقبله إن استطاع، وإلا أشار إليه، ويقول عند ذلك: بسم الله الله أكبر، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ. ثم يصلى على النبى ﷺ، وينوى الطواف سبعة أشواط ثم يطوف سبعًا وفى كل مرة يسن له أن يشير إلى الحجر الأسود أو يقبله إن استطاع من غير مزاحمة. ويكون الطائف طائفاً إلى اليمين بحيث تكون الكعبة على يساره، ويسن له أن يذكر الله فى طوافه ويدعوه بما شاء. ومن السنة، أن يقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١)، فإذا فرغ من طوافه قبَّل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه اقتداء برسول الله ﷺ، ثم يصلى ركعتين عند مقام إبراهيم إن استطاع أو فى حجر إسماعيل أو فى أى مكان فى المسجد. ثم يخرج إلى المسعى للسعى بين الصفا والمروة فيسعى بينهما سبعة أشواط، يبدأ بالصفا حتى يصل إلى المروة فهذا شوط، ثم يعود إلى الصفا وهذا شوط آخر، وهكذا حتى يتم سبعة أشواط يختمها بالمروة. ويكثر من الذكر والدعاء والصلاة على رسول الله ﷺ والتكبير والتحميد وهو على الصفا والمروة وفى السعى.

(س) ما هى حكمة الطواف بالبيت ؟

(ج) قال تعالى: ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ (الطور: ١-٤)،

وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال فى حديث الإسراء بعد مجاوزته للسماء السابعة: «ثم رفع بى إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه» يعنى: يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد سيدنا إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- مسندا ظهره إلى البيت المعمور، لأنه بانى الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، وللكعبة صلة نورانية به. وفى كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه. والذى فى السماء الدنيا يقال له: بيت العزة.

فالطائف بالبيت متشبه بالملائكة فى طوافها، مُهَيَّمَة فى محبة الله عز وجل، مُغَيَّبَة فى جلاله وكماله.

فالطواف بالبيت كالطواف بالبيت المعمور، والسجود والركوع كسجود الملائكة وركوعها.[1]

(س) ما هى الحكمة فى تقبيل الحجر الأسود فى الطواف ؟

(ج) حيث إن البيت هدم مرارا بعد سيدنا إبراهيم الخليل -عليه السلام- ولم يبق منه عند بناء الخليل -عليه السلام- إلا هذا الحجر، فهو رمز لإقامة أول بيت وضع لتوحيد الله عز وجل وعبادته فى الأرض. فتعظيمه إنما هو تعظيم للمعنى الذى يمثله. ومثل هذا كالراية لأمة من الأمم، يستميت تحتها جنودها مع أنها قماش عادى وخشب، ولكن استماتتهم إنما كانت للمعنى الذى ترمز إليه، فكذلك الحجر الأسود للمعنى الذى يشير إليه من توحيد الله وتنزيهه. وأيضا لأن رسول الله ﷺ قبَّله، ونحن نقتدى برسول الله ﷺ. ولذلك ثبت عن عمر بن الخطاب- رضى عنه الله أنه قال: والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبلتك.

ومن قبَّل موضع ما قبَّل رسول الله ﷺ فلا ينبغى لذلك الفم أن يكذب أو ينطق بسوء، أو يأكل حراما أو يشرب حراما. فإذا نزه المرء نفسه عن تناول الحرام طعاما وشرابا، وعن النطق بالحرام، فإن ذلك أصل فى تهذيب النفس، وذلك مما يورث التقوى. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧)، ويتفرع عن ذلك البعد عن المحرمات. وروى عنه صلى الله عليه وسلم أن سعد بن أبى وقاص- رضى الله عنه- قال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى مجاب الدعوة. فقال صلى الله عليه وسلم: «ياسعد أطب مطعمك يجعلك الله مجاب الدعوة».

(س) وما هى الحكمة فى السعى بين الصفا والمروة ؟ وماذا يستشعر الحاج عندهما وبينهما ؟

(ج) يتذكر الحاج عند سعيه بين الصفا والمروة، ما كانت عليه السيدة هاجر، حيث كانت مع ولدها فى هذه البيداء التى لا نبات فيها ولا ماء وقد اشتد الظمأ بها وبولدها، حتى لم يبق فى ثديها ما ترضع به ولدها، فكانت تسعى مجهودة مكروبة بين الصفا والمروة ملتجئة إلى الله عز وجل فى تفريج كربتها ففرج الله كربها. فيلجأ الحاج فى السعى بين الصفا والمروة مخلصا لربه فى أن يفرج كربه ويتولاه برحمته ويهديه إلى سواء السبيل.

فقد أخرج البخارى من حديث ابن عباس: أن هاجر جاء بها سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وبابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل، فقالت: ياإبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنس ولا شىء. فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا قال: نعم. قالت:

إذاً لا يضيعنا. ثم رجعت، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبى ﷺ: «فذلك سعى الناس بينهما».

ثم فرج الله كربها، وجاء الملك فبحث بعقبه أو جناحه حتى ظهر الماء، وهو ماء زمزم؛ فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

فهذه هى المرأة الفضلى التى تركت وابنها الرضيع فى مطارح الغربة فى واد غير ذى زرع، وكأنها ترى الهلاك مصيرها الحتم هى وحشاشة قلبها فهل سخطت أو تبرمت بحالها؟ وهل تمردت على زوجها ؟

«إذاً لا يضيعنا» هذه كلمة الإيمان من قلب عامر باليقين، بأن الحكيم سبحانه لا يأمر إلا بما هو الحكمة. وأن رازق الطير فى أوكارها لن ينساها هى وابنها، وهو الذى أمر بتركها فى ذلك القفر الموحش، ولقد كانت هاجر مثال الزوجة الكاملة المخلصة الصابرة المطمئنة المطيعة لربها ولزوجها فى الله. ولقد حقق الله ظنها فيه سبحانه ورزقها من حيث لا تحتسب ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق: ٣).

فيتذكر الحاج ذلك ويلجأ إلى السعى بين الصفا والمروة مخلصا لربه فى أن يفرج كربه ويتولاه برحمته ويهديه إلى سواء السبيل.

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال:ثم تله للجبين وعلى إسماعيل -عليه الصلاة والسلام- قميص أبيض فقال له: يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره فاخلعه حتى تكفننى فيه. فعالجه ليخلعه فنودى من خلفه: ﴿أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا﴾ (الصافات: ١٠٤، ١٠٥). ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٥- ١٠٧).

هذا هو إسماعيل الذى جاد بروحه فى طاعة ربه ثم طاعة أبيه.

قال ابن عباس -رضى الله عنهما-: فلما أدرك الحلم زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته (أى يتفقد ما ترك هناك) فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغى لنا الرزق. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشرٌ، نحن فى ضيق وشدَّة، فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام، وقولى له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته وسألنى كيف عيشنا، فأخبرته أنَّا فى جَهْدٍ وشدة قال: فهل أوصاك بشىء ؟ قالت: نعم، أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول: غيِّر عتبة بابك. قال: ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك، الحقى بأهلك، فطلقها.

ففارق إسماعيل زوجته الساخطة على الأقدار إرضاء لرغبة أبيه ثم تزوج بأخرى.

قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: فلبث إبراهيم عنهم ما شاء، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغى لنا الرزق. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسِعة. وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم ؟ قالت: اللحم قال: فما

(س) هل الذبيح إسماعيل أم إسحاق؟ ومن الذى بنى البيت منهما مع أبيه إبراهيم ؟

(ج) ذكر الله تعالى فى كتابه عن إبراهيم، قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (الصافات: ١٠٠، ١٠١) ، ولم يكن لسيدنا إبراهيم ولد وقد فرح بالبشرى. ومن زعم أن هذه البشارة لمن بعد إسماعيل، كان معنى ذلك أنه لم يبشر بأول ولد له، وهو أمر غير معقول، أو ليس إسماعيل ولده ؟ أو ليس هو من الصالحين ؟! وقد صرح الحق سبحانه بأن صفته الحلم، وقد كان إسماعيل حقا حليما بشهادة حياته. ثم ساق الحق تبارك وتعالى قصة الذبح لهذا الغلام الذى بشر به إبراهيم حتى إذا انتهى منها قال: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (الصافات: ١١٢). فهما بشارتان: الأولى للذبيح والثانية لاسحق. وقد ولد اسحق وكان لإسماعيل ثلاث عشرة سنة، كما هو فى العهد القديم عند أهل الكتاب.

وعندهم فى قصة الذبح (خذ ابنك وحيدك إسحاق) وهذا تناقض. إذ لم يكن إسحاق وحيده يوما ما، ولا يقال وحيدك إلا لمن ليس له ولد غيره، والتحقيق العلمى يقضى بواحد من أمرين:

إما أن تكون «وحيدك» مقحمة أو «إسحاق» مقحمة. ولم يكن كتاب اليهود فى يد العرب حتى يزيدوا فيه ما يوافق هواهم، وإنما كان فى يد أهل الكتاب. والابتلاء بذبح ولد من ولدين هو دون الابتلاء بذبح الولد الذى ليس له سواه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ (الصافات: ١٠٦) ولا يتحقق ذلك إلا فى إسماعيل لأنه كان وحيد أبيه.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ (الصافات: ١٠٢)، أى: بلغ وكبر وترعرع وصار يسير مع والده، أو أنه استطاع أن يشارك أباه فى السعى والعمل.

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢).

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال:ثم تله للجبين وعلى إسماعيل -عليه الصلاة والسلام- قميص أبيض فقال له: يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره فاخلعه حتى تكفننى فيه. فعالجه ليخلعه فنودى من خلفه: ﴿أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا﴾ (الصافات: ١٠٤، ١٠٥). ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٥- ١٠٧).

هذا هو إسماعيل الذى جاد بروحه فى طاعة ربه ثم طاعة أبيه.

قال ابن عباس -رضى الله عنهما-: فلما أدرك الحلم زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته (أى يتفقد ما ترك هناك) فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغى لنا الرزق. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشرٌ، نحن فى ضيق وشدَّة، فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام، وقولى له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته وسألنى كيف عيشنا، فأخبرته أنَّا فى جَهْدٍ وشدة قال: فهل أوصاك بشىء ؟ قالت: نعم، أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول: غيِّر عتبة بابك. قال: ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك، الحقى بأهلك، فطلقها.

ففارق إسماعيل زوجته الساخطة على الأقدار إرضاء لرغبة أبيه ثم تزوج بأخرى.

قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: فلبث إبراهيم عنهم ما شاء، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغى لنا الرزق. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة. وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم ؟ قالت: اللحم قال: فما

شرابكم ؟ قالت. الماء. قال: اللهم بارك لهم فى اللحم والماء. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فإنها صلاح المنزل، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد ؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه، فسألنى عنك فأخبرته، فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخير. قال: فأوصاك بشىء ؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبى، وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك.

والفرق كبير بين زوجة تبوح بسر الزوجية وأخرى أمينة على سر دارها حريصة على كرامة زوجها، ألا وإن كل ما يكون من شئون العائلة يجب ألا يعلم به أحد.

قال ابن عباس -رضى الله عنهما-: ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبة من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعيننى؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله قد أمرنى أن ابنى ها هنا بيتاً. وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة، وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى، وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٢٧).

وهنا ترى الأسرة الفاضلة: أب فاضل، وأم فاضلة، وابن فاضل، وكَنَّةٌ فاضلة (الكنة: امرأة الابن)، وهذا هو البيت المعنوى الآدمى البشرى الذى تكون من هذه الأسرة لا يقل فى جماله وروعته، عن البيت الحسى الذى يطوف به الناس لأنه أول بيت وضع لعبادة الله وتوحيده، فهما بيتان متلازمان، بيت حسى باق على الدهر تراه العين قام إلى جوار البيت المعنوى، الأسرة الفاضلة التى ينبغى أن تقتدى بها القلوب والأرواح.

فيا أيها الحجاج، إذا طفتم حول البيت فاذكروا - وإياكم أن تنسوا - البيت الذى أسسه أبوكم إبراهيم، بيت الكمال والفضل والعفاف والبر، وإذا رجعتم إلى أوطانكم فلينسج كل منكم على منوال أحدهم. فعلى كل أب أن يكون فى أسرته إبراهيم، وعلى كل أم أن تكون هاجر، وعلى كل ابن أن يكون إسماعيل، وعلى كل كنة أن تكون زوجة إسماعيل الفاضلة. فإذا فعلتم ذلك فقد أدركتم الحكمة من الحج، وانتفعتم بالحج، وأنشأتم الأسرة الفاضلة، وشاركتم فى بناء المجتمع الإسلامى العزيز الكريم. فمن الأسرة تتكون العشيرة، ومن العشائر تتكون القرية، ومن القرى تتكون المدينة، ومن المدن تتكون الأمة، ومن مجموعة الأمم يتكون العالم الأكبر.

(س) ما الحكمة فى الأضحية ؟

(ج) لما امتحن الله خليله - سيدنا إبراهيم عليه السلام - بأن أمره بذبح ولده الوحيد إسماعيل، فلم يتردد فى الذبح، وسارع فى طاعة مولاه، واختبر ولده إسماعيل: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ (الصافات: ١٠٢)، ولم يتردد الابن إسماعيل فى التسليم لأبيه فى نفسه، طاعة لله عز وجل. ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢) .

فلما أطاعا الله عز وجل: إبراهيم جاد بولده فى سبيل الله، وإسماعيل جاد بنفسه فى سبيل الله، فكانا قدوة للمؤمنين فى ألا يبخلوا لا بنفس ولا بأهل ولا بولد ولا بمال فى سبيل مرضاة الله عز وجل وإعلاء كلمته، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (الصافات: ١٠٣- ١٠٧)، فكان الفداء العظيم بسبب طاعتهما لله وتسليمهما الأمر له سبحانه.

فجعل الله الأضحية - وهى ما يذبح فى ضحى يوم العيد الأكبر لله تعالى- ذكرى فداء إسماعيل حيث جاد بنفسه، وجاد إبراهيم بولده عليهما السلام. ولتقتدى الأمة بهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة: ١١١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

والأضحية كذلك، ضرب من التعاون بين فقراء الأمة وأغنيائها. فإنه يستحب أن يقسم صاحب الأضحية أضحيته ثلاثا: ثلث له ولأهله، وثلث يهديه لجيرانه وأصدقائه حتى من الأغنياء ومن لا تحل له الصدقة، وثلث يتصدق به على الفقراء.

وهى كذلك مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعى الذى يوطد العلاقة بين أفراد الأمة ويورث بينهم المحبة، وهى حض عملى على التراحم بين أفراد الأمة فى نواحى الحياة.

(س) هل الأضحية واجبة على كل مسلم ؟ ومتى شرعت ؟

(ج) الأضحية هى ما يذبح من النعم تقرباً إلى الله تعالى فى أيام النحر، وشرعت فى السنة الثانية من الهجرة، وثبتت مشروعيتها بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢).

وروى أنس- رضى الله عنه- قال: ضحى النبى ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، فرأيته واضعاً قدمه على صفاحهما يسمى ويكبر، فذبحهما بيده.

رواه الستة إلا مالكا. كما جاء ذلك فى أحاديث كثيرة أيضا فى الصحيح والسنن والمسانيد. وقد أجمع المسلمون على مشروعيتها. قال الأحناف بوجوبها، وقال غيرهم: هى سنة، وتطلب من القادر عليها. وقال

الحنابلة: القادر عليها هو الذى يمكنه الحصول على ثمنها ولو بالدين إذا كان يقدر على وفاء دينه. وقال المالكية: القادر عليها هو الذى لا يحتاج لثمنها فى أمر ضرورى فى عامه. وقال الشافعية: القادر عليها هو الذى يملك ثمنها زائداً عن حاجته وحاجة من يعول يوم العيد وأيام التشريق. وقال الأحناف بوجوبها على من يملك نصاب الزكاة وهو مقيم، فلا تجب على المسافر، فإن تطوع بها فله ثوابها.

(س) هل يجوز أن تبدل الأضحية بمال ؟

(ج) لا يجوز أن تبدل الأضحية ولا الهدى - وهو ما يهدى إلى الكعبة من النعم يوم العيد، ويذبح كذلك فى أيام النحر - لأن الاستبدال يفقدها معناها، الذى هو ذكرى الفداء بصورة تمثل الصورة التى وقعت فى زمن أبى الأنبياء خليل الله سيدنا إبراهيم -عليه السلام-. وخصوصا فى حرم الله الذى هو قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، فإنراها الحجاز يبيعون أنعامهم لمن وفد إلى بيت الله الحرام لأداء نسك الحج، فيستفيد أصحاب الأغنام والبقر والإبل، الذين يربون أنعامهم طول السنة بثمن أنعامهم ولا منة لأحد عليهم. ثم يذبح الحجاج ما يذبحون، فينتفع من أراد الله انتفاعه بهذه الذبائح، فتكون المنفعة مزدوجة، لأهل البادية والحاضرة.

(س) هل من الجائز عمل المشروعات اللازمة للانتفاع بهذه الأضاحى، فإننا نشاهد أن كثيراً منها لا يستفاد منه ؟

(ج) لو أن جهود المسلمين تضافرت على تيسير الانتفاع بهذه الذبائح، بحيث تقام المصانع لما زاد على الحاجة من اللحوم بتجفيفها أو استصلاحها للانتفاع بها وبجلودها وقرونها وأظلافها، على أن تكون فى سبيل الله كذلك، لكان ذلك أجدى على أهل الحرم الشريف، وفى هذا تحقيق لدعوة أبى الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ

غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧). وقال أيضاً: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩). وقد أرسل الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ، وجاء بالشريعة الكاملة التى نصت على هذا التشريع الذى يحض على الخير وعلى إيثار طاعة الله بالنفس والأهل والمال والولد.

(س) ماذا أعد الله من الثواب للحاج ؟

(ج) عن أبى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه».

روى ذلك الشيخان، والنسائى، وابن ماجة، والترمذى.

والرفث: بفتح الراء والفاء. روى عن ابن عباس أنه قال: ما روجع به النساء. وقال الأزهرى: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة. وقال الحافظ المنذرى: الرفث يطلق ويراد به الجماع، ويطلق ويراد به الفحش، ويطلق ويراد به خطاب الرجل للمرأة فيما يتعلق بالجماع.

وعنه -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» رواه مالك، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، والأصبهانى. (المبرور، قيل: هو الذى لا يقع فيه معصية).

وجاء من حديث جابر، عن النبى ﷺ: قيل: وما بره ؟ قال: «إطعام الطعام وطيب الكلام» رواه أحمد، والطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن، وابن خزيمة فى صحيحه، والبيهقى، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه -قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الذنوب كما ينفى الكير خبث

الحديد والذهب والفضة، وليس لحجة مبرورة ثواب إلا الجنة» - وفى رواية: «وما من مؤمن يظل يومه محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه»، رواه النسائى، والترمذى وقال: حسن صحيح، وابن خزيمة، وابن حبان فى صحيحيهما.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » رواه البزار، والطبرانى فى الصغير، وابن خزيمة فى صحيحه، والحاكم، ولفظهما قال: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج». وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

فيشترط فى الحج الذى تتحقق فيه المغفرة واستجابة الدعوات أن يخلو من الرفث والمعصية. وقد قال الله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٧). فلا يجادل الرفقة الذين معه، ولا القوم الذين يركبون معه، ولا العمال، ولا الباعة، ولا أصحاب المنزل الذى ينزل فيه، فإن حكمة الحاج أن يتعلم الصبر على الأذى، وأن يروض نفسه على العفو والإحسان لمن أساء إليه، والرحمة بخلق الله تعالى، ودوام الالتجاء إلى الله عز وجل، وهضم حق النفس.

وكما أنه يحب أن يغفر الله له ويرحمه، فليعف ويصفح.

وعنه ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الله تبارك وتعالى، إنما يرحم الله من عباده الرحماء » وقد سئل ﷺ: أى الناس أفضل؟ قال:«كل مخموم القلب صدوق اللسان ». قالوا: صدوق اللسان نعرفه يا رسول الله، فما مخموم القلب ؟ قال: «هو التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد».

وقد قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٨٨، ٨٩).

(س) ماذا عن الأضحية التى تجزىء هل يشترط فيها سن معينة، وهل هناك شروط خاصة بها ؟

(ج) لا تجزىء فى الأضحية إلا سن مخصوصة عينها الشارع.

ففى الضأن: إذا تمت سنة ودخلت فى الثانية، وقال الحنابلة: تصح إذا بلغت ستة أشهر.

وفى المعز: إذا تمت سنة ودخلت فى الثانية، واشترط الشافعية أن تتم سنتين.

وفى البقر والجاموس: لا تصح إلا إذا بلغت سنتين ودخلت فى الثالثة، وقال المالكية: لا تصح إلا إذا بلغت ثلاث سنين.

وهناك شروط أخرى: فلا تصح الأضحية بالشاة العمياء ولا العوراء ولا المهزولة ولا العرجاء، ولا مقطوعة الأذن أو الذنب أو مقطوعة الإلية إذا ذهب أكثر من ثلثها، ولا بالتى تأكل النجاسة حتى تحبس وتطعم طعاماً طاهراً. وتصح بالتى لا قرون لها، أو ذهب بعض قرنها ما لم يصل الكسر إلى المخ.

(س) وما هو وقت ذبح الأضحية ؟ فإننا نرى كثيراً من الناس يذبحون ليلة العيد أو صباح العيد قبل الصلاة أو ثانى أو ثالث أيام العيد ؟

(ج) ما يفعله بعض الناس اليوم من الذبح ليلة العيد باطل على جميع المذاهب، أى لا تعتبر ذبائحهم هذه أضحيات وإنما تكون مطلق ذبائح للأكل فقط، لا نصيب لها من النسك - أى الأضحية الشرعية - فى شىء. ولا يثاب صاحبها ثواب الأضحية ؛ لأنه خالف السنة عند جميع المذاهب. فإن وقت ذبح الأضحية يبدأ بعد طلوع فجر يوم العيد عند الأحناف إلا أنه يشترط للمقيم فى المدن ألا يذبح إلا بعد صلاة العيد. وعند المذاهب الثلاثة الأخرى يبدأ وقت الأضحية بعد صلاة العيد، أو بعد فراغ الإمام من خطبة العيد، أو قدر ذلك بعد طلوع الشمس. وينتهى وقت الذبح قبل غروب شمس اليوم الثالث أو إلى الغروب. وبعض الأئمة اشترط ألا يكون

الذبح إلا نهاراً، فلو ذبح ليلا فى هذه الأيام لا تصح الأضحية. وبعضهم قال بكراهة الذبح ليلا فى هذه المدة.

(س) سؤال عن ماء زمزم: هل فضل على غيره من المياه ؟ وهل من الجائز حمله؟ فإننا نرى كثيراً من الحجاج يحضرون معهم ماء زمزم ؟

(ج) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال رسول اللهﷺ: «ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفى شفاك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهى هزمة جبرائيل عليه السلام، وسقيا الله إسماعيل عليه السلام» رواه الدار قطنى، والحاكم، وزاد: «إذا شربته مستعيذاً أعاذك الله». وكان ابن عباس -رضى الله عنهما- إذا شرب ماء زمزم قال: اللهم إنى أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء. وقال:صحيح الإسناد إن سلم من الجارود (محمد بن حبيب). قال الحافظ المنذرى: وقد سلم منه فإنه صدوق [1] .

(ج) وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- عن النبى ﷺ قال: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم وشفاء السقم » رواه الطبرانى فى الكبير، ورواته ثقات وصححه ابن حبان [2].

وعن أبى ذر -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «زمزم طعام طعم وشفاء سقم». رواه البزار بإسناد صحيح، ورواه الطبرانى فى الصغير[3].

وعن أبى الطفيل، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال سمعته يقول: كنا نسميها شباعة -يعنى زمزم- وكنا نجدها نعم العون على العيال. رواه الطبرانى فى الكبير، ورجاله ثقات [4].

---

(١) الترغيب: ٢ / ١٢ .
(٢) جمع الفوائد: ١ / ٥١٧ .
(٣) مجمع الزوائد: ٣ / ٢٨٦ .
(٤) مجمع الزوائد: ١ / ٢٨٦ .

وعن سويد بن سعيد -رضى الله عنه- قال: رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى ماء زمزم واستسقى منه شربة، ثم استقبل الكعبة فقال: اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا، عن محمد بن المنكدر، عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «ماء زمزم لما شرب له»، وهذا أشربه لعطش يوم القيامة. ثم شرب [1]. رواه الإمام أحمد باسناد صحيح، والبيهقى.

وروى الترمذى، عن عائشة -رضى الله عنها- أنها كانت تحمل ماء زمزم وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله. وقال الترمذى: حسن غريب. ورواه الحاكم أيضا، ورمز السيوطى لصحته [2].

وروى رزين، عن ابن عمر -رضى الله عنهما- أن النبى ﷺ أمر رجلا من قريش فى المدة أن يأتيه بماء زمزم إلى الحديبية، فذهب به منه إلى المدينة [3].

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن النبى ﷺ استهدى سهيل ابن عمرو من ماء زمزم. رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط. (وفيه عبد الله ابن المؤمل المخزومى وثقه ابن سعد وابن حبان، وقال: يخطئ وضعفه جماعة) [4].

فعلى الحاج أن يشرب من ماء زمزم وهو مستقبل القبلة، ويذكر الله ويتضلع منه فإنه علامة الإيمان، ويحسن أن يقول: اللهم إنه قد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «ماء زمزم لما شرب له»، اللهم وإنى أشربه لتغفر لى، فاغفر لى، ويسأل الله ما شاء. وقد ذكر أن العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه لما حج وشرب من ماء زمزم سأل الله تعالى فى سبع وخمسين حاجة له ولإخوانه، فقضى الله جميع ما كان منها من حوائج الدنيا ويرجو من كرم الله قضاء الحوائج الأخروية.

---

(١) الترغيب: ٢ / ٢١٠ .
(٢) جمع الفوائد: ١ / ٥١٧ .
(٣) نفس المرجع السابق .
(٤) مجمع الزوائد: ١ / ٢٨٦ .

مواطن الدعاء فى الحج - علامة الحج المقبول - مغادرة مكة

(س) نسأل الآن عن المواطن الخاصة التى يستجاب فيها الدعاء فى الحج ؟

(ج) يستجاب الدعاء فى الحج فى خمسة عشر موضعاً:

فى الطواف - وعند الملتزم (وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود) - وتحت الميزاب من الكعبة - وفى داخل الكعبة - وعند زمزم - وعلى الصفا - وعلى المروة - وفى المسعى بين الصفا والمروة - وخلف مقام إبراهيم عليه السلام - وفى عرفات - وفى مزدلفة - وفى منى - وعند الجمرات الثلاث.

(س) هل للحج المقبول علامة ؟

(ج) علامة الحج المقبول، أن يرجع الحاج وقد تغيرت أخلاقه، فإن كان شحيحاً على الدنيا عاد كريماً، وإن كان متكبراً عاد متواضعاً، وإن كان غير عفيف عاد عفيفاً، وإن كان يكذب فى قوله عاد صادقاً، وإن كان غليظ القلب قاسياً يميل إلى الأذى، عاد رقيق القلب محباً للإحسان، رحيماً بالضعفاء والمساكين، مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر.

ومع هذا فلا يستطيع الحاج أن يجزم بأن حجه خلا مما نهى الله عنه. فإن الذنوب منها ما يختص بالجوارح، ومنها ما يختص بالقلوب. فيرجو من الله عز وجل أن يكون حجه مقبولا بمحض الفضل الإلهى ويدعو رجاء القبول، لنفسه ولغيره من المسلمين من أقارب وغيرهم. وليكن بين الرجاء والخوف، وقد قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الليل: ٥-٧)، وعلامة العبادة الخالصة المقبولة، أن ييسر صاحبها إلى الخير، قولا وفعلا، صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك.

(س) إذا أراد الحاج مغادرة مكة، فماذا يطلب منه فعله قبل المغادرة ؟

(ج) عندما ينوى الحاج مغادرة البيت الحرام ومكة المكرمة، عائداً لوطنه، يطلب منه أن يطوف بالكعبة المشرفة طواف الوداع سبعة أشواط. وتكلمنا عن الطواف وعرفنا كيفيته. وعليه أن يشرب من ماء زمزم ويتضلع منه وله أن يأخذ منها معه. ويأتى الملتزم وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة - وهو من مواطن إجابة الدعاء، ويدعو بما شاء. وله أن يقول فى دعائه: اللهم إن البيت بيتك، والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك، حملتنى على ما سخرت لى من خلقك، حتى سيرتنى فى بلادك، وبلغتنى بنعمتك، حتى أعنتنى على قضاء مناسكك، فإن كنت رضيت عنى، فازدد عنى رضا. وإلا فمن الآن، قبل أن ينأى عن بيتك دارى، هذا أوان انصرافى إن أذنت لى، غير مستبدل بك ولا ببيتك، ولا راغباً عنك ولا عن بيتك، اللهم فاصحبنى بالعافية فى بدنى، والعصمة فى دينى، وأحسن منقلبى، وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى.. واجمع لى خيرى الدنيا والآخرة، إنك على كل شئ قدير.

ويفتتح الدعاء ويختتمه بالثناء على الله عز وجل، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ. ثم يقبل الحجر الأسود، وينصرف ونظره إلى البيت بلا قهقرة حتى يخرج.

وإن كانت المرأة حائضاً، استحب لها أن تقف على باب المسجد، وتدعو بهذا الدعاء ثم تنصرف.

ويخرج المودع من باب العمرة، وفى الطريق يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير، آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ويدعو بنصر الإسلام.

(س) ونحب أن نسأل الآن عن بعض ما فى الحج من الأسرار والمعانى، التى يشهدها ويستشفها السادة العلماء والحكماء، وما ورد فى ذلك فى السنة المطهرة ؟

(ج) سنتكلم عن العرف العام وتهيئة البيئة الإسلامية فى الحج. من تربى فى أمة تشرب الخمر وتراه مباحاً، ينشأ على عدم النفرة من شربها، ولا تستنكرها نفسه. وقل ذلك فى أمة لا ترى عاراً فى أن يعانق الرجل الأجنبى امرأة ويقبلها تحت سمع أقاربها وأبصارهم، وليس كذلك من تربى فى بيئة تنكر ذلك وتراه عاراً. فالعرف هو المدرسة التى يتركز فى ضمير من نشأ فيه، النفرة من أمر، أو استقباحه أو استحسانه والميل إليه، وبتولى النفرة أو الاستحسان للأمر؛ يصير خلقاً ثابتاً فى قرارة النفس. فالعرف العام هو الأساس والجو الذى تنشأ فيه الأخلاق.

فإذا كان العرف العام فى أمة فاسداً، كاستحسان الغصب والظلم واعتباز ذلك شجاعة؛ فلا عجبٌ ان ينشأ جيل فاسد الأخلاق، منحرف الجبلة عن الطريق القويم. فإذا هيأت بيئة صالحة، العرف العام فيها هو الحق والعدل والخير، فقد هيأت للمريض الدواء والهواء النقى، الذى تتلاشى فيه الأمراض والعلل.

وحين كانت البيئة بيئة الإسلام، والعرف عرف الإسلام، وكان الرجل هدفه إعلاء كلمة الله، كيَّف حياته كلها على ذلك الأساس، سواء كان تاجراً أو زارعا أو صانعاً أو غير ذلك، يكتفى هو وأهله بما يحفظ عليهم مروءتهم، وسائر كسبه لله.

وكذلك المرأة، لا تهتم بالمظاهر والزينات إلا فى حدود المعقول. كانت عاملة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ (النور: ٣١)، حيثِ كان الهدف الذى تعمل له هو مرضاة الله عز وجل. ولما تغيرت الوجهة وأصبحت القدوة هى أوروبا، فكلما ظهرت أزياء (موضة) تمسك المسلمات

بها حتى كأنها دين، فرأينا الأذرع العارية، والرءوس المكشوفة، والعاريات الكاسيات اللواتى يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وتركن الأدب العالى والسمو الروحى، ونسين العمل للحق والخير والفضيلة والجهاد.

(س) وما أثر الحج فى تغيير هذا العرف ؟

(ج) أراد الحق تبارك وتعالى أن يحيى فى الإحرام فى الحج، العرف الإسلامى، حتى يهيئ الجو الصالح للتوبة والرجوع إلى الفضيلة التى هجرها الفسقة الملحدون، ويهيئ جو المساواة والتواضع والأخوة الإنسانية والسلام. حيث يخفى الوزير والعامل والرئيس والمرءوس والحاكم والمحكوم.

فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج، ومن الفسوق مصافحة الأجنبية بغير حائل، ومن الفسوق النظر إلى غير ما أحل الله، ومن الفسوق الكذب، إلى غير ذلك.

وأمر سبحانه بالتقشف - ترك الرفاهية - لأن الأمة أمة مجاهدة، كل فرد فيها تحت السلاح، لأنه جندى الله عز وجل، لا جندى أرض، فإنه إن كان جندى وطن خاص أو شخص خاص فهو جندى أرض. أما إن كان جندى الحق والعدل والمبادئ العالية، فمرجع تلك الفضائل والكمالات إلى مصدرها ينبوع الكمال - الحق تبارك وتعالى - فهو جندى الملك الأعلى (الله عز جل) فلابد أن يتربى على أساس أن يكون مستعداً لتلبية الدعوة لنصرة الحق والفضيلة، فى أى لحظة من حياته، ليلا أو نهاراً، فى أى بلد من بلاد الإسلام، ولن يتأتى ذلك إلا إذا عاش حياة ليس فيها ترفه.

وحرم عليه فى الإحرام، الطيب وقص الشعر وتقليم الأظافر، وما إلى ذلك من حياة الترفه، والشهوات والمخالطة الجنسية ومقدماتها والعقد. ومن ترك الحلال ومباهج الحياة لله، فهو للحرام أشد تركاً. فإذا دعى للجهاد فى سبيل الحق، فقد عاش فى الحج تاركاً الرفاهية، عاش عيشة

الجندى المكافح الذى تعود الحرمان من لين الحياة، ذلك لأنه ينظر للحياة غير النظرة التي يعرفها المترفون.

فشرع فى الحج الرجوع إلى الحياة الفطرية التي لا ترفه فيها. فيلبس إزاراً يستر به عورته، لا إسراف فيه، وروعى فيه ألا يحيط بعضو، وهى صورة من المساواة تذكرنا بلباس الموت، وينتعل ما يقيه أثر السير، على حال هى أقل ما يكفى للاستمساك، وله أن يلبس رداء غير محيط كذلك يستر به جسده، ولا يغطى رأسه، كل ذلك مالم يصبه ضرر.

من أسرار الحج الأخوة العامة بين الإنسان وأخيه الإنسان وصلة الإنسان بالحيوان والنبات والجماد

(س) ونحب أن نعرف كيف يشاهد هذا فى أعمال الحج ؟

(ج) لا يرى العارف بالله، شيئا فى الوجود، لم يتشرف بنعمة الحياة على قدر مرتبته، منحة من الحى القيوم سبحانه، ولقد حقق الكشف العلمى الحديث كشفهم الروحى، فحسبك أن تنظر للماء بالمنظار المعظم، حتى ترى فيه الآلاف من الأحياء المتحركة. وكذلك النبات، وإذاً فنحن إذ نأكل ونشرب ونتنفس، تمتزج بأجسامنا كائنات حية لا نقدر قدرها، ومن أيقن بذلك، فلا أظنه يحاول أن يكلف الناس أن يعيشوا بغير شراب أو طعام، بحجة أن فى الماء والنبات أحياء. ولكن حسبك أن يأذن لك الطبيب بما تأخذ وما تدع، فما أباحه لك فهو المباح، وما منعك فلا تقربه، فإنه ما أباح وما منع إلا وكان فى ذلك الخير كل الخير لك.

وقد منعك فى الإحرام صيد البر، وأباح لك الأنعام وصيد

وفى الحديث: «من اتبع الصيد غفل »[1]. ولعلك تريد الصيد، فتصيب نفساً محترمة، فالإنسان أخو الإنسان، حتى الحيوان أخو الإنسان، وليس لك أن تصيب إنساناً أو حيواناً، إلا بإذن من الطبيب الحكيم، لا برأيك، ولا بهواك. فما أباحه لك فهو دواؤك، وما حرمه عليك فهو داؤك فلا تتجاوز ما أحله لك، فإنه أعلم بمنافع العقاقير ومضارها منك.

فكأن الإنسان يتحقق بالأخوة الإنسانية أول أمره حتى يكون رحمة عامة.

وعن أبى موسى الأشعرى -رضى الله عنه-، أنه سمع النبى ﷺ يقول: «لن تؤمنوا حتى تراحموا». قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم. قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس، رحمة العامة»[2].

فإذا سما إلى الرحمة بكل حى.. لأنه شريك له فى ظهور صفة الحياة ؛ يرتقى فى شعوره بتلك الشركة التى تربطه بكل ذى روح إلى رتبة الأخوة، وبذلك تدرك معنى قول بعض العارفين: أخى الطير.

وذكر أن الغزالى رُئى بعد وفاته، فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال: كنت أكتب يوماً، فغمست القلم فى الدواة ثم رفعته، فسقطت عليه ذبابة فظننت أنها عطشى، فأصغيت القلم حتى شربت ثم طارت، فشكر الله لى ذلك. فغفر لى.

---

(١) أخرج الإمام أحمد فى مسنده، والبيهقى بسند صحيح، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من بدا جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن، وما ازداد أحد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا» - كشف الخفا جـ ٢/٢٣٦ ورواه العسكرى، وأبو داود، والترمذى، وأبو يعلى، والطبرانى، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سكن البادية جفا، ومن أتى السلطان افتتن ومن اتبع الصيد غفل»- ورواه السيوطى فى كتاب سماه: «ما رواه الأساطين فى عدم المجىء إلى السلاطين» عن ابن عباس رفعه: «من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن» جـ ٢/٢٥٣ .

(٢) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد ٨/١٨٦

وحديثه ﷺ فى الصحيح: «فى كل ذات كبد رطبة أجر»[1]، والمغفرة للخاطئة التى سقت الكلب [2] ، ودخول امرأة النار فى هرة ربطتها[3]. وغير ذلك من الأحاديث.

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما-: نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم [4]. وعن المغيرة بن شعبة: أن النبى ﷺ قال: «لا تتخذوا الروح غرضاً» [5].

على أن هذه المرتبة، وإن كانت أعلى مما قبلها، لا تزال قاصرة، لأنه لا يزال فيه شىء من الكبر، فإنه وإن حقق الأخوة بينه وبين الحيوان، ففى تعاليه على النبات قصور عن المعرفة بالحقيقة، فإن النبات ذو حياة وحس كذلك وإن لم يشعر الناس، فإذا شهد الأخوة التى بينه وبين النبات أخذ من النبات ما أخذ بحقه، وترك ما ترك بحقه. وإذا زرع فإنما يزرع لمن قسمه الله له من إنسان وحيوان وطير، لا لما يأكله خاصة، فإنما يزرع لله لا لنفسه.

وكأنما أراد الحق أن ينبه عباده إلى ذلك، فحرم على الحاج أن يتعرض لشجر الحرم بقطع أو قلع أو إتلاف، ولا لغصن من أغصانه، ولو كانت الأغصان واصلة إلى الحل، ويضم هذا إلى تأكيد حرمة الحرم والإحرام. ثم يسمو إلى معرفة أن الوجود كله قائم بالله، يشترك معه فى استمداده من ينبوع الكمال الذاتى الحق، وأعلا من ذلك اكتشاف الحقيقة، أن كل ذرة فى الوجود لها حياة خاصة بنسبة خاصة، تسبح ربها

(٢،١) رواه الشيخان، ومالك، وأبو داود - جمع الفوائد ٤٢٨/٢، وكشف الخفا جـ٨٩/٢ .

(٣) رواه الشيخان عن ابن عمر رفعه - جمع الفوائد ٤٢٨/٢ .

(٤) رواه أبو داود، والترمذى متصلا ومرسلا عن مجاهد، وقال فى المرسل : هو أصح - الترغيب ٢١٠/٣ .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وإسناده حسن- مجمع الزوائد ٣١/٤ .

تبارك وتعالى بحالها ومقالها، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ (الإسراء: ٤٤)، وكأنما أشار الحق إلى ذلك بما ورد على لسان رسول الله ﷺ من النهى عن نقل شيء من تراب الحرم، وورد أن الحصاة تناشد من يخرجها من المسجد ألا يخرجها [1]، وفى الصحيح عن بعض أصحاب النبى ﷺ: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل [2].

وها قد اتضح لك سر من أسرار الوجود. الوجود على اختلاف مراتبه شيء واحد، أفيض عليه نور واحد، وقام بذات واحدة هو الخالق الأحد المنعم. وكل ما سواه مخلوق مُنعَم عليه فلا يستحق الشكر لذاته سواه، فعبادة غيره باطلة، والتوجه لسواه ضلال، الوجود كله عبودية لله، يجأر بالحال والمقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

★ ★ ★

(١) عن أبى هريرة رفعه: «إن الحصاة لتناشد الله الذى يخرجها من المسجد ليدعها» رواه أبو داود بإسناد جيد - جمع الفوائد ١/١٧٣، وقد سئل الدارقطنى عن هذا الحديث، فذكر أنه روى موقوفاً على أبى هريرة، ونال رفعه وهمٌ من أبى بدر، والله أعلم. (الترغيب ١/٢٠٥).

(٢) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء؛ فقال: اطلبوا فضلة من ماء. فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده فى الإناء، ثم قال: حى على الطهور المبارك، والبركة من الله. فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. رواه البخارى والترمذى والنسائى - جمع الفوائد ٢/٤٧٧.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
القسم الأول: الدين القيم	
المقدمة	٥
الفطرة	١٧
العلاقة بين المرء وأسرته	٢٧
العلاقة بين المرء والمجتمع	٢٨
كمالات الحق سبحانه	٢٩
الكمالات الإلهية – الوحدانية	٣٦
الكمالات الإلهية – وحدانية الصفات – وحدانية الأفعال	٣٨
النبوات، التكليف، الجزاء	٤٣
من معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام	٤٦
من معجزات النبى ﷺ الحسية	٤٩
الإيمان باليوم الآخر – البعث والجزاء	٥٥
الإيمان بالجنة – و النار – والقدر	٥٧
الأوامر والنواهى التى فرضها الله عز وجل لتحقيق الكمال العلمى والعملى للإنسان	
العبادات – الطهارة والحكمة فيها	٦٠
الصلاة – الأوقات الخمسة – استقبال القبلة – الحكمة فيها	٦٣
الصلاة –الطهارة، والحكمة فيها	٦٥
فرائض الوضوء – الغسل – التيمم	٦٨
متى وكيف فرضت الصلوات	٧١
الإسراء بالروح والجسد معاً – رؤية الله عز وجل	٧٤
رؤية النبى ﷺ لربه تبارك وتعالى	٧٦
كيفية أداء الصلاة	٧٩
فرائض الصلاة	٨٢
كيفية السجود – تكبيرات الانتقال	٨٥
سنن الصلاة	٨٩

الموضوع	الصفحة

معنى التسبيح - ما كان يقرأ النبى ﷺ فى صلاته ٩٥
جواز الدعاء بغير المأثور، الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ١٠٠
أوقات الصلوات والحكمة فى تحديدها ١٠٣
صلاة الجمعة والحكمة فى مشروعيتها - صلاة الجنازة - صلاة التطوع ١٠٧
الصوم والحكمة فى مشروعيته ١١٠
كيفية الصيام التى تتحقق بها حكمته - تدرج عبادة الصوم ١١٣
قيام رمضان وكيفيته - ليلة القدر ١١٧
صوم ست من شوال ١٢٧
الحج - مؤتمر سنوى للإسلام ١٢٨
أظهر ما تتميز به عبادة الحج ومعنى الاستطاعة ١٣٠
الحج أو الزواج أولاً ١٣٣
النية عند الحج ١٣٦
وقت الإحرام ١٣٩
مواطن الدعاء فى الحج ١٥٩
من أسرار الحج ١٦٣
الفهرس ١٦٧

تم بحمد الله القسم الأول
ويليه بمشيئة الله القسم الثانى
من موسوعة الدين القيم:
« العقائد »

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (الأفرنجى) القاهرة
مرب (٥٨) التراوين ت: ٧٩٤٢٠٧٩

هذا الكتاب

الدين القيم وقضايا العصر سفر طيب حوى أمهات مواضيع الشريعة الغراء سجله العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجانى على مدى ثمانية وعشرين عامًا فى ثنايا مجلة طريق الحق التى كان يصدرها منذ عام ١٩٥٠ حتى وفاته عام ١٩٧٨ م وقد بذل نجله المبارك الشيخ أحمد محمد الحافظ جهودًا شاقة فى استخلاص المادة العلمية لهذه الموسوعة وتقسيمها إلى ثمانية أقسام :

الأول : الدين القيم .

الثانى : فى العقائد .

الثالث : فى التفسير .

الرابع : فى السنة النبوية المشرفة .

الخامس : فى التوحيد ودلائل النبوة .

السادس : فى الفرق .

السابع : فى أحكام فقهية .

الثامن : فى التصوف .

وإنه ليسرنا أن نقدم للعالم الإسلامى هذه الموسوعة الفريدة راجين المولى جل وعلا أن ينتفع بها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها والله ولى التوفيق .

هانى أحمد غريب